

# شعر غزوات النبي ﷺ

« دراسة تحليلية »

إعداد

د . محمد بن هادي المباركي

الأستاذ المشارك بقسم الأدب والبلاغة

بكلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين؛ أمّا بعد: فإن الشعر في ظلال الإسلام قد أدى دوراً لا يُنكر في مسيرة الدعوة الإسلامية حين واكب الغزوات والفتوحات، وناصح الشعراء عن حياض الدعوة بكل ما أوتوا من فصاحة وبيان، وبما استقرّ في نفوسهم من أضواء اليقين، وإشراقات الإيمان.

وكانت مواقف المصطفى ﷺ من شعراء الإسلام قد دفعت بهم إلى شحذ ملكاتهم وصقل مواهبهم، والوقوف في وجه أعداء الإسلام بالكلمة المؤمنة المشجونة بكل طاقات الانفعال الإيمانية التي تزلزل الجبال وتهز الرواسي.

ولقد كانت غزوات النبي ﷺ ميداناً خصباً سار في ركابه كثير من الشعراء، وأبانوا عن مناصرتهم لدين الله تعالى، والتصدّي للمشركين الذين ما فتئوا يتعرّضون للمسلمين. حيث كان للشعر - آنذاك - دوره في مختلف المواقع والغزوات التي خاضها المسلمون من أجل الدفاع عن عقيدتهم، والحرص على نشر دعوتهم في شتى الأقطار، وهو ما أوجد شعراً وافراً يواكب تلك الغزوات، ويعبر عنها، ويستلهم المفهومات الدينية في مضامينه التي يتناولها.

وقد آثرت أن تتناول هذه الدراسة (شعر غزوات النبي ﷺ) للوقوف على هذا الشعر، ومعرفة أبعاده وتصوّراته، وما يحمله من قيم فنية وسمات خاصة.

أمّا المنهج الذي أتبعته في هذه الدراسة فيقوم على الجمع بين المنهجين الاستقرائي والتحليلي الفني في الوقوف عند شعر الغزوات، وبيان الجوانب التي تناولها، وقد اقتصرت الدراسة على الغزوات التي قيل فيها شعر، أمّا التي لم يرد فيها شعر فقد استثنيتها، وأوردت ما جاء نادراً من شعر في بعض الغزوات في ثنايا البحث، كما تناولت الدراسة الجوانب الفنية في شعر الغزوات وذلك من خلال الوقوف على بعض القيم الفنية والسمات الأسلوبية.

وقد تكوّنت خطة البحث من فصلين، يسبقهما مقدّمة، وتلوهما الخاتمة، وتفصيل ذلك كالآتي:

الفصل الأول بعنوان: (الشعر في مواكبة الغزوات). واشتمل على المباحث التالية:

- (١) - غزوة بدر.
- (٢) - غزوة أحد.
- (٣) - غزوة الخندق.
- (٤) - غزوة مؤتة.

(٥) - فتح مكة.  
أما الفصل الثاني فهو بعنوان: ((القيم الفنية في شعر الغزوات)).

واشتمل على المباحث التالية:

(١) أثر القرآن الكريم في أسلوب الشعر.

(٢) اللغة الشعرية.

(٣) الصورة الفنية.

وأخيراً جاءت الخاتمة، وتضمنت خلاصة للبحث.

أما الفهرسان، فكان أحدهما للمصادر والمراجع، والآخر للموضوعات.  
والله تعالى أسأل أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به، إنه خير  
مسؤول. وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.



Handwritten notes in Arabic script, likely a continuation of the research or a list of references, covering the bottom half of the page.

## الفصل الأول: الشعر في مواكبة الغزوات

كان عصر صدر الإسلام حافلاً بالوقائع المتوالية ضدّ المشركين، إذ كانت المعارك تدور معركة في إثر معركة، وقد أوجد ذلك صوراً مفعمة بالبسالة والتضحية بين المجاهدين الذين كانوا يلاقون عتاة المشركين ويتصدّون لهم، ويوقعون بهم الهزائم، وذلك ما صوره الشعر في تلك الفترة، فقد واكب الأحداث، وأبرزها في صورة واضحة للعيان، تعبّر عن عظم المهمة التي قام بها أولئك المجاهدون، وما قدموه خلالها من التضحية بالنفس والنفيس. وهو ما يدلّ على الدور العظيم الذي قام به الرسول الكريم ﷺ - فقد استطاع أن يطور الحياة الاجتماعية والثقافية والدينية والحريّة خلال - عقدين ونيف من الزمن، وأن يجهّز الجيوش والفرسان لنشر الدّعوة الإسلامية في مختلف الأمصار وقد صور الشعراء غزوات الرسول ﷺ ومعاركه، وعلى رأسهم حسّان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة - رضوان الله عليهم أجمعين - الذين جاء شعرهم ناطقاً حياً ومعبراً صادقاً عن المعارك والغزوات، سواء أكانت داخل الجزيرة العربية أم خارجها، فجاء الشعر مفعماً بتصوير تلك الملاحم البطولية، التي سطرها المسلمون، وقدموا خلالها أروع التضحيات من أجل نصرة الدّعوة الإسلامية.

ومن يتأمل في أثر الشعر في تلك الحقبة الزمنية، وقدرته على حفز الهمم والعزائم يدرك ما كان ينبغي أن يصنعه الشعر من تأثير فاعل في مواجهة الأعداء الذين ما فتئوا يسيئون للدّعوة الإسلامية ويهجون الرسول الكريم والمسلمين، وهو ما ظهر جلياً في أشعارهم التي ردتّ عادية الأعداء، وتصدّت لسهامهم، فكانت تقوم بمهمة الدفاع عن العقيدة الإسلامية، وذلك ما أبان عنه بوضوح الحديث النبوي الشريف الذي روته عائشة - رضي الله تعالى عنها - أن رسول الله ﷺ قال: «اهجوا قريشاً فإنه أشدّ عليهم من رشق النبل، فأرسل إلى ابن رواحة فقال: اهجم فهجاهم، فلم يُرض، فأرسل إلى كعب بن مالك، ثم إلى حسّان بن ثابت، فلما دخل حسّان قال: قد آن لكم أن تُرسلوا إلى هذا الأسد الضارب بذنبيه، ثم أدلع لسانه، فجعل يحركه ثم قال: والذي بعثك بالحق لأفريئهم فري الأدم، فقال رسول الله ﷺ: لا تعجل فإن أبا بكر أعلم قريش بأنسابها، وإن لي فيهم نسباً حتى يلخص لك نسبي، فاتاه حسّان ثم رجع فقال: يا رسول الله قد لخص لي نسبي، والذي بعثك بالحق لأسلنك منهم كما تُسل الشعرة من العجين». قالت عائشة: فسمعت رسول الله ﷺ يقول: «لقد هجاهم

حَسَّانُ فَشَفَى وَاشْتَفَى»<sup>(١)</sup>.  
وقد عدَّ النبي ﷺ الشعر المدافع عن الإسلام نوعاً من أنواع الجهاد، وذلك في قوله ﷺ: «المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه، والذي نفسي بيده لكان ما ترموهم به نُضْحُ النَّبْلِ»<sup>(٢)</sup>.  
فكان شعراء المسلمين يشاركون بقصائدهم في كل ما يعرض من أحداث، ويصفون

المعارك الإسلامية.  
وسوف يظهر بوضوح أثر شعر الغزوات في وصف المعارك التي دارت بين المسلمين والمشركين، وإبراز القيم الإسلامية السامية التي أفصح عنها المسلمون، وهم يسرون في الغزوات، ويخوضون المعارك، وتحقق لهم الفتوح التي طالما انتظروها، لينشروا دعوتهم الإسلامية في كل الآفاق، ويعلنوا عن دينهم الحق الذي ارتضاه المولى - عز وجل - ديناً لكل البشرية. وفي مقدمة تلك الغزوات التي خاضها المسلمون في عهد النبي ﷺ:

#### (١) غزوة بدر:

لقد سجَّل الشعر غزوات النبي ﷺ والوقائع التي دارت بين المسلمين والمشركين، وقد كانت البداية الأولى غزوة بدر التي التقى فيها المسلمون بحافل قريش، وأذاقوهم مرارة الهزيمة، وقتلوا كبار رجالهم، وتركوهم مجندين في أرض المعركة، حيث قتل أبو جهل وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وغيرهم من كبار المشركين الذين تحالفوا على حرب المسلمين، وهو الجانب الذي صورَه حَسَّانُ بن ثابت ﷺ في قصيدته الرائية التي يقول فيها:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَتَى مَكَّةَ الَّذِي قَتَلْنَا مِنَ الْكُفَّارِ فِي سَاعَةِ الْعُسْرِ  
قَتَلْنَا سَرَاةَ الْقَوْمِ عِنْدَ رِحَالِهِمْ فَلَمْ يَرْجِعُوا إِلَّا بِقَاصِمَةِ الظُّهْرِ  
قَتَلْنَا أَبَا جَهْلٍ وَعُتْبَةَ بَعْدَهُ وَشَيْبَةَ أَيْضاً عِنْدَ نَائِرَةِ الصَّبْرِ<sup>(٣)</sup>  
وَكَمْ قَد قَتَلْنَا مِنْ كَرِيمٍ مُرَزَّءٍ لَهُ حَسَبٌ فِي قَوْمِهِ نَابِهِ الذُّكْرِ

(١) صحيح مسلم ٤/١٩٣٥.

(٢) مسند الإمام أحمد ٣/٤٦٥.

(٣) عُتْبَةُ وشَيْبَةُ: ابنا ربيعة بن عبد شمس من كبار قريش وساداتها، وقد قُتلا في بدر.

تَرَكْنَاهُمْ لِلْحَامِعَاتِ<sup>(١)</sup> تَتَوَّبُهُمْ  
وَيَصَلُّونَ نَاراً ثُمَّ نَابِيَةَ الْقَعْرِ  
بِكُفْرِهِمْ بِاللَّهِ وَالسُّدَيْنُ قَائِمٌ  
وَمَا طَلَبُوا فِينَا بِطَائِلَةِ الرِّثْرِ  
لَعَمْرِي لَقَدْ قَلْتُ كِتَابُ غَالِبٍ  
وَمَا ظَفِرْتُ يَوْمَ التَّقِينَا عَلَى بَدْرِ  
لَقَدْ شَقِيتُ كَعَبٌ جَمِيعاً وَعَامِرٌ  
بِأَسِيافِنَا يَوْمَ التَّقِينَا عَلَى بَدْرِ  
قَتَلْنَاهُمْ قَتَلَ الْكِلَابِ فَلَمَّ نَدَعُ  
لَهُمْ فِي جَمِيعِ النَّاسِ يَا صَاحِبِ مِنْ فَخْرِ<sup>(٢)</sup>

ولقد كان رسوخ المعتقد في نفوس الشعراء يدعوهم إلى التوكل على الله، والثقة به، ورجاء النصر الذي لن يفارقهم ما داموا متوكلين على خالقهم - عز وجل - غير آهين بالأعداء ولا بكثرة عددهم وعتادهم، وهو ما صورّه حسان - رضي الله عنه - يوم بدر، عندما لقوا الكفار بعزيمة قويّة، وإرادة عالية، فكان النصر حليفهم، رغم كثرة عدد المشركين، حيث يقول في هذا المعنى:

فَمَا نَخْشَى بِحَوْلِ اللَّهِ قَوْماً  
وإن كَثُرُوا وَأَجْمَعَتِ الرُّحُوفُ  
إذا مَا أَلْبُوا جَمْعاً عَلَيْنَا  
كفانا حدهم رَبُّ رُؤُوفُ  
سَمَوْنَا يَوْمَ بَدْرِ بِالْعَالِي  
سَرَاعاً مَا تُضَعِّضُنَا الحُتُوفُ  
فَلَمْ تَرَ عُصْبَةً فِي النَّاسِ أَنْكِي  
لَمَنْ عَادُوا إِذَا لَقَحَتْ كَشُوفُ  
ولكنَّا تَوَكَّلْنَا وَقَلْنَا  
مَأَثْرُنَا وَمَعَقَلْنَا السُّيُوفُ  
لَقِينَاهُمْ بِهَا لَمَّا سَمَوْنَا  
و نحن عَصَابَةٌ وَهُمْ أُلُوفُ<sup>(٣)</sup>

فهذه الأبيات تحمل في دلالتها المعنى العميق لآيات القرآن الكريم في نفس الشاعر، فقد استلهم قول الحق تبارك وتعالى في سورة الأنفال، وأبان عنه في البيت الأول:  
﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَيْلًا وَقَوْلَكُمْ قُلُوبًا أَقْبَسُ مِنْهَا قَوْلًا لِيُقْضَىٰ إِلَيْكُمْ اللَّهُ أَمْرًا  
كَانَ مَفْعُولًا وَلِإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾<sup>(٤)</sup>، <sup>(٥)</sup>

(١) الحَامِعَاتُ: الحَامِعَةُ الضَّبْعُ، سُمِّيَتْ كَذَلِكَ لِأَنَّهَا تُخَمَعُ إِذَا مَشَتْ. (انظر: اللسان ٧٩/٨).

(٢) ديوان حسان بن ثابت ص ٢٦٦. تحقيق: د. سيد حنفي حسنين.

(٣) ديوان حسان بن ثابت ص ٣٩١.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٤٤.

(٥) انظر: التأثر النفسي للإسلام في الشعر د. عبد الرحيم زلط ص ١٤٢.

حيث تحمل الأبيات الشعرية معاني التضحية والفداء، والرغبة في الجهاد في سبيل الله صفاً واحداً، ونبذ الهيبة من الأعداء مهما بلغوا من الكثرة في العدد والعتاد، وهذه العزيمة الصادقة أبرزتها كثير من القصائد الشعرية التي تناولت الغزوات، ووصفت ما دار فيها من قوة المواجهة بين الجيشين.

وفي وصف غزوة بدر يشير حسان رضي الله عنه إلى عظم قدرة الله تعالى، وكيف أنه نصر جنده في تلك الموقعة، ونخلد المشركين المعاندين، الذين تكبروا وتجبروا على دعوة الحق، فأملهم الله وأخذهم أخذ عزيز مقتدر، وفي ذلك يقول:

وَحَبَّرَ بِالَّذِي لَا عَيْبَ فِيهِ	بِصَدْقٍ غَيْرِ إِخْبَارِ الْكَذُوبِ
بِمَا صَنَعَ الْمَلِيكَ غَدَاةَ بَدْرٍ	لَنَا فِي الْمَشْرِكِينَ مِنَ النَّصِيبِ
غَدَاةَ كَانَ جَمَعَهُمْ حِرَاءُ	بَدَتْ أَرْكَائُهُ جُنْحَ الْغُرُوبِ
فَلَا قَيْنَاهُمْ مَنَا بِجَمْعٍ	كَأَسَدِ الْغَابِ مِنْ مُرْدٍ وَشَيْبِ
أَمَامَ مُحَمَّدٍ قَدْ آزَرُوهُ	عَلَى الْأَعْدَاءِ فِي وَهْجِ الْحُرُوبِ
بِأَيْدِيهِمْ صَوَارِمُ مَرْهَقَاتٍ	وَكُلِّ مَجْرَبٍ حَاظِي الْكُعُوبِ
فَقَادَرْنَا أَبَا جَهْلٍ صَرِيحاً	وَعْتَبَةً قَدْ تَرَكْنَا بِالْجُبُوبِ
وشية قد تركنا في رجال	ذوي حسب إذا اتسبوا حسيباً <sup>(١)</sup>

حيث أبانت هذه الأبيات عن شدة موقعة بدر، وما حدث فيها من قتل سادة قريش وفرسانهم، فقد تركوا مجندين في أرض المعركة والطير تحوم فوقهم في مشهد يدل على بسالة المجاهدين، وتمكنهم من أعدائهم. ولا غرابة في ذلك فقد كانت التضحية والفداء تتقدمان تلك المعركة، وذلك حين تسابق الصحابة - رضوان الله عليهم - لحمل السلاح ومقاتلة أعداء الإسلام، وذلك سعياً وراء رضوان الله تعالى، وطمعاً بجنته التي وعد بها الشهداء في سبيله. وحينما قال الرسول ﷺ يوم بدر: «والذي نفس محمد بيده، لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً، مقبلاً غير مدبر، إلا أدخله الله الجنة»<sup>(٢)</sup>، فقال عمير بن الحمام السلمي رضي الله عنه، وكان يأكل تمرات بيده: بخ، فما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء! ثم قذف التمرات من يده، وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل، وهو يقول:

(١) ديوان حسان بن ثابت ص ١٣٤-١٣٥.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ١/٦٢٧، تحقيق: مصطفى السقا وآخران.

رَكُضًا إِلَى اللَّهِ بِغَيْرِ زَادٍ إِلَّا التَّقَى وَعَمَلِ الْمَعَادِ  
وَالصَّبْرِ فِي اللَّهِ عَلَى الْجِهَادِ وَكُلُّ زَادٍ عُرْضَةُ النَّفَادِ  
غَيْرُ التَّقَى وَالْبِرِّ وَالرَّشَادِ<sup>(١)</sup>

\*\*\*

## (٢) غزوة أحد:

تعدُّ غزوة أحد الواقعة الثانية التي دارت بين المسلمين وكفار قريش بالمدينة المنورة، وذلك حين عزم كفار قريش على أن يثأروا لهزيمتهم ببدر، وما أصابهم فيها من الخسائر في الأرواح والأموال وسقوط هيبتهم، حيث بدأوا يعدُّون العدة لأخذ الثأر من المسلمين، فجمعوا قبائلهم وعشائرهم ومن حالفهم من مكة وجوارها وجاءوا قاصدين التَّيْل من رسول الله ﷺ في عدد من الرجال يزيد على الثلاثة آلاف مقاتل، بينما كان عدد المسلمين الذين خرجوا وثبتوا لهذه المعركة لا يزيد على الأربعمائة مجاهد، وقد انتهت المعركة لصالح المشركين، حيث استطاع الكفار قتل بعض قادة المسلمين، وعلى رأسهم حمزة بن عبد المطلب ﷺ ورجع الرسول ﷺ بمن معه من الرجال إلى المدينة، بينما عادت جحافل الكفار ومعهم جرحاهم وبقلوبهم فرحة الثأر لقتلهم في بدر التي حاقت بهم الهزيمة فيها.

وقد كان للشعر دوره في غزوة أحد، حيث وصف الشعراء ما دار فيها من أحداث ومواقف، ودارت مساجلات بين شعراء المسلمين وشعراء الكفار، ورثى الشعراء من استشهدوا في تلك الغزوة، وفي مقدمتهم حمزة بن عبد المطلب ﷺ<sup>(٢)</sup>.

وأولى هذه القصائد التي نظمها الشعراء في تلك الغزوة قصيدة حسان بن ثابت ﷺ التي ردَّ فيها على هُبيرة بن أبي وهب المخزومي - شاعر المشركين - الذي خالجه السرور والتعالي بما حققه قومه في أحد، وهو ما ظهر في قصيدته التي يقول مطلعها:

سُقْنَا كِنَانَةَ مِنْ أَطْرَافِ ذِي يَمَنِ عُرْضِ الْبِلَادِ عَلَى مَا كَانَ يُزْجِيهَا<sup>(٣)</sup>

(١) تاريخ الرُّسُل والملوك للطبري ٤٤٨/٢، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

(٢) انظر: التأثير النفسي للإسلام في الشعر ص ١٦١.

(٣) السيرة النبوية ١٣٠/٣.



فقد ردّ عليه حسّان بن ثابت رضي الله عنه بقوله:  
سُقْتُمْ كِنَانَةَ جَهْلًا مِنْ سَفَاهَتِكُمْ  
أوردتموها حياض الموت ضاحية  
أنتم أحاييس جمعتم بلا نسب  
هلا اعتبرتم بخيل الله إذ لقيت  
كم من أسير فككناه بلا ثمن  
إلى الرسول فجنّد الله مخزبها  
فالنار موعدها، والقتل لاقبها  
أئمة الكفر غرّتكم طواغيبها  
أهل القلب ومن أردتته فيها  
وجزّ ناصية كنا مواليتها<sup>(١)</sup>

حيث يشير حسّان - رضي الله عنه - إلى صنيع المشركين وجهلهم، حين ساقوا جيوشهم من بني كنانة لقتال النبي - ﷺ - والمسلمين وكيف أنهم رجعوا خائبين خاسرين أمام جند الله الذين أذاقوهم مرارة الهزيمة، بل يشير حسّان إلى صنيع المسلمين بأسرى بدر الذين أطلقوهم بلا ثمن، ليعلم أولئك عظمة النّصر الذي حققه المسلمون وعلو مكانته.

أمّا كعب بن مالك - رضي الله عنه - فقد أجاب هُبيرة بقصيدة طويلة وصفت ما دار في غزوة أحد، وما حفلت به الموقعة من شدّة وضراوة، حيث بدأ قصيدته بوصف مكان المعركة، وأنها كانت أرضاً صعبة المسالك وعرة الدروب، لا يسلكها إلا حمر الوحش أو النّعام، وقد امتلأت بالجيف من مخلفات الوحوش وعظام الفرائس، يقول:

ألا هل أتى غسان عنا ودونهم  
صحار وأعلام كأن قنّامها  
تظّل به البزل العراميس رزحاً  
به جيف الحسرى يلوح صليبيها  
به العين والأرام يمشين خلفه  
من الأرض خرق سيره متنعع<sup>(٢)</sup>  
من البعد نقع هامد متقطع<sup>(٣)</sup>  
ويخلو به غيث السنين فيمرغ<sup>(٤)</sup>  
كما لاح كنان التجار الموضع<sup>(٥)</sup>  
ويض نعام قيضه<sup>(٦)</sup> يتقلع<sup>(٧)</sup>

(١) ديوان حسّان بن ثابت ص ٢٠٥.

(٢) الخرق: الفلاة التي تنخرق فيها الرّيح. ومتنعع: مضطرب.

(٣) الأعلام: الجبال المرتفعة. والقنّام: ما مال لونه إلى السّواد.

(٤) البزل: جمع بازل وهو البعير القوي. والعراميس: الثّاقة الشّديدة. وبمرغ: يخصب.

(٥) الصّليب: ودك العظام. والموضع: المبسوط والمنقوش.

(٦) العين: البقر الوحشي. الأرام: الظباء. القيض: قشر البيض الأعلى.

(٧) ديوان كعب بن مالك ص ٢٢٢.

ثم يصف كعب ﷺ بطولة المؤمنين الذائلين عن دين الله، مذكراً المشركين في أحد هزيمتهم الساحقة التي واجهتهم في بدر، يقول:

مُجَالِدُنَا عَنْ دِينِنَا كُلِّ فَخْمَةٍ (١) مُدْرَبَةٌ فِيهَا الْقَوَانِسُ تَلْمَعُ (٢)  
وَكُلُّ صَمُوتٍ فِي الصُّوَانِ كَأَنَّهَا إِذَا لُبِسَتْ نَهَى مِنَ الْمَاءِ مُتْرَعٌ (٣)  
وَلَكِنْ يَبْدُرُ سَائِلُوا مَنْ لَقِيْتُمْ مِنَ النَّاسِ، وَالْأَنْبَاءُ بِالْغَيْبِ تَنْفَعُ (٤)

ثم يشير كعب ﷺ إلى الاستعداد النفسي لتلك الموقعة، وكيف أن الكفار ضربوا خيامهم وأبنيتهم بأرض المعركة، ورأى المؤمنون كثرتها فتشاوروا فيما بينهم ماذا يمنعهم من السكوت على ما بدأهم به الكفار؟ وكيف لا يتشاورون مع رسول الله ﷺ فيما ينبغي فعله؟ فقول الحق، ومن أعرض عن نصحه فقد باء بالخسران، وبعد المشاورة أبان لهم الرسول ﷺ أن من كانت نيته للجهاد حقيقةً والطمع فيما عند الله تعالى فعليه أن يشمر لذلك؛ ليظفر بما أعدّه الله - عز وجل - لعباده المؤمنين الصادقين (٥)، وفي ذلك يقول:

وَلَمَّا ابْتَنَوْا بِالْعَرِضِ (٦) قَالَ سَرَأُنَا إِذَا لَمْ تَمْنَعِ الْعَرِضَ نَزْرَعُ ؟  
وَفِينَا رَسُولُ اللَّهِ تَتَّبِعُ أَمْرَهُ إِذَا قَالَ فِينَا الْقَوْلَ لَا تَتَطَّلَعُ  
تَدَلَّى عَلَيْهِ الرُّوحُ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ يُنَزِّلُ مِنْ جَوِّ السَّمَاءِ وَيُرْفَعُ  
تُشَاوِرُهُ فِيمَا تُرِيدُ وَقَصْرُنَا (٧) إِذَا مَا اشْتَهَى أَنَا تُطِيعُ وَنَسْمَعُ

(١) قال ابن هشام: وكان كعب بن مالك قد قال: مجالدنا عن جذمنا كل فخمة. فقال رسول الله ﷺ: أيا صلح أن تقول مجالدنا عن ديننا؟ فقال كعب: نعم. فقال رسول الله ﷺ: فهو أحسن، فقال كعب: مجالدنا عن ديننا. (انظر السيرة النبوية ١٣٦/٢).

(٢) مجالدنا: مدافعنا. والفخمة: الكتبية العظيمة. المذربة: المتعودة على القتال الماهرة فيه.  
(٣) الصموت: الدرع. الصوان: كل ما يصاب فيه الشيء، درعاً كان أو ثوباً أو غيرها. النهي: الغدير. ومترع: أي: مملوء ماء.

(٤) ديوان كعب بن مالك ص ٢٢٣.

(٥) انظر: التأثير النفسي للإسلام في الشعر ص ١٦٥.

(٦) العرض: موضع خارج المدينة. وكل وادٍ فيه شجر فهو عرض.

(٧) قصرنا: غايتنا ولماية أمرنا.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ لَمَّا بَدَا لَنَا ذُرُوا عَنْكُمْ هَوْلَ الْمَنِيَّاتِ وَاطْمَعُوا  
وَكُونُوا كَمَنْ يَشْرِي الْحَيَاةَ ثَقْرُبًا إِلَى مَلِكٍ يُحْيَا لَدَيْهِ وَيُرْجَعُ  
وَلَكِنْ خُذُوا أَسْيَافَكُمْ وَتَوَكَّلُوا عَلَى اللَّهِ إِنَّ الْأَمْرَ لِلَّهِ أَجْمَعُ  
فَسِرْنَا عَلَيْهِمْ جَهْرَةً فِي رِحَالِهِمْ ضَحِيًّا عَلَيْنَا الْبَيْضُ لَا تَتَخَشَعُ<sup>(١)</sup>

ثم يصل كعب رضي الله عنه - إلى وصف المعركة وأحداثها، بدءاً من بيان عدد المقاتلين من الطرفين، وانتهاء بما حدث في أرض المعركة من التحام الجيشين، حيث تُسدّد الطعنات، وتُصوّب الرماح، وتُهرع الخيول، وتُسبح في الفضاء كأنها الجراد المنتشر، وفي ذلك يقول:

فَجِئْنَا إِلَى مَوْجٍ مِنَ الْبَحْرِ وَسَطَهُ أَحَابِيشُ مِنْهُمْ حَاسِرٌ وَمُقَنَّعٌ  
ثَلَاثَةُ آلَافٍ وَنَحْنُ نَصِيَّةٌ<sup>(٢)</sup> ثَلَاثُ مِئِينَ إِنْ كَثَرْنَا وَأَرْبَعُ  
نُغَاوِرُهُمْ تَجْرِي الْمَنِيَّةُ بَيْنَنَا نُشَارِعُهُمْ<sup>(٣)</sup> حَوْضَ الْمَنَايَا وَنُشَرِّعُ  
تَهَادَى قِسِي الثَّبَعِ فِينَا وَفِيهِمْ وَمَا هُوَ إِلَّا الْيَثْرِبِيُّ<sup>(٤)</sup> الْمُقَطَّعُ  
وَمَنْجُوفَةٌ حَرْمِيَّةٌ صَاعِدِيَّةٌ<sup>(٥)</sup> يُذْرُ عَلَيْهَا السُّمُّ سَاعَةً تُصْنَعُ  
تُصَوَّبُ بِأَبْدَانِ الرَّجَالِ وَتَارَةٌ تَمُرُّ بِأَعْرَاضِ الْبِصَارِ تُقَعِّعُ<sup>(٦)</sup>  
وَخَيْلٌ تَرَاهَا بِالْفَضَاءِ كَأَنَّهَا جَرَادٌ صَبَا فِي قَرَّةٍ يَتَرَيُّعُ<sup>(٧)</sup>  
فَلَمَّا تَلَاقَيْنَا وَدَارَتْ بِنَا الرَّحَى وَلَيْسَ لِأَمْرِ حَمَّةُ اللَّهِ مَدْفَعُ

(١) ديوان كعب بن مالك ص ٢٢٤ - ٢٢٥.

(٢) النصيّة: الخيار من القوم.

(٣) نُغَاوِرُهُمْ: أي نغير عليهم. وَنُشَارِعُهُمْ: أي نشارهم.

(٤) الْيَثْرِبِيُّ: الأوتار، نسبة إلى يثرب.

(٥) المنجوفة: السهام المثقفة. والحرمية: نسبة إلى أهل الحرم. والصاعديّة: نسبة إلى صاعد، وهو صانع معروف.

(٦) تُصَوَّبُ: تقع. والبصار: الحجارة اللينة. وتُقَعِّعُ: تُصَوِّت.

(٧) الصبا: ريح شرقية. والقرة: البرد. ويتريّع: يجيء ويذهب.

ضربناهم حتى تركنا سرانهم<sup>(١)</sup> كأنهم بالقاع خشب مصرع  
فقلنا وقال القوم منا وربما فعلنا، ولكن ما لدى الله أوسع  
ودارت رحانا، واستدارت رحاهم وقد جعلوا كل من الشر يشبع<sup>(٢)</sup>

ويحتتم كعب ﷺ قصيدته بتعداد صفات جيش المسلمين في أنهم يقدمون على الحرب متى كانت دفاعاً عن عرض أو عقيدة وليس لمغنم دنيوي، وألهم تدربوا على الحرب وألغوها، فلا يهابون أعداءهم، ولا يتراجعون في المواجهة، وقد عرفوا آداب القتال فلا يجزعون إن أصيبوا، فالجرب سجال دائما، وإن ظفروا بالعدو فلا فحش ولا تمثيل بالقتلى أو إذلال للأسرى وإتباع منهج الإسلام في معاملة المتحاربين والأسرى<sup>(٣)</sup>، حيث يقول كعب واصفا بطولة ذلك الجيش المسلم:

وغن أناس لا نرى القتل سبة على كل من يحمي الذمار<sup>(٤)</sup> ويمنع  
ولكننا نقلي الفرار، ولا نرى الفِرَارَ لمن يرجو العواقب ينفع  
جلاد<sup>(٥)</sup> على ريب الحوادث لا ترى على هالك عينا لنا الدهر تدمع  
بنو الحرب لا نعيأ بشيء نقولاه ولا نحن مما جرت الحرب نجزع  
بنو الحرب إن نظفر فلستنا بفحش ولا نحن من أظفارها تتوجع  
وكنا شهابا يتقي الناس حرة ويفرج عنه من يليه ويسفح<sup>(٦)</sup>

وبينما كانت المعارك تدور بين المسلمين والمشركين فقد كان هناك من يفخر من المشركين بما تحقق في غزوة أحد ناسياً صنيع المسلمين في بدر، ومن أولئك الشعراء عبد الله بن الزبيري<sup>(٧)</sup> الذي افتخر في إحدى قصائده التي يقول فيها:

- (١) سرانهم: خيارهم.
- (٢) ديوان كعب بن مالك ص ٢٢٥ - ٢٢٧.
- (٣) انظر: التأثير النفسي للإسلام في الشعر ص ١٦٨.
- (٤) السبة: العار. والذمار: ما يجب على الرجل حمايته.
- (٥) جلاد: جمع جليد وجلد وهو الصلب.
- (٦) ديوان كعب بن مالك ص ٢٢٧ - ٢٢٨.
- (٧) هو عبد الله بن الزبيري بن قيس بن عدي بن سعد السهمي القرشي، كان شديداً على المسلمين =

يا غرَابَ البينِ أَسْمَعْتَ فَقُلْ  
كَمْ قَتَلْنَا مِنْ كَرِيمِ سَيِّدِ  
لَيْتَ أَشْيَاخِي بِيَدْرِ شَهِيدُوا  
إِنَّمَا تَنْطَقُ شَيْئاً قَدْ فُعِلْ  
مَاجِدِ الْجَدِّينِ مَقْدَامِ بَطَلِ  
جَزَعِ الْخَزْرَجِ مِنْ وَقَعِ الْأَسْلِ<sup>(١)</sup>

فانبرى له حسّان بن ثابت - رضي الله عنه - يردّ عليه، ويبين له أن الحرب سجال بين الطرفين، وأن المسلمين قد نالوا من المشركين في أحد كما نال المشركون منهم، مذكراً إيّاه بما لاقوه من الهزيمة في ((بدر))، وكيف قتل سادتهم، وهرب فرسانهم في تلك الموقعة، وباءوا بالخزي والخذلان، حيث يقول حسّان رضي الله عنه:

ذَهَبَتْ بَابِنِ الزَّبَعْرِىِ وَقَعَةٌ  
وَلَقَدْ نَلْتُمْ وَنَلْنَا مِنْكُمْ  
نَضَعُ الْأَسْيَافَ فِي أَكْتِافِكُمْ  
إِذْ تُؤَلُّونَ عَلَيَّ أَعْقَابِكُمْ  
إِذْ شَدَدْنَا شِدَّةً صَادِقَةً  
وَعَلَوْنَا يَوْمَ (بَدْرٍ) بِالتُّقَى  
وَتَرَكْنَا فِي قُرَيْشٍ عَوْرَةً  
كَانَ مِنَّا الْفَضْلُ فِيهَا لَوْ عَدَلُ  
وَكَذَلِكَ الْحَرْبُ أَحْيَاناً دُولُ  
حَيْثُ تَهْوِي عِلَالاً بَعْدَ نَهْلِ  
هُرَباً فِي الشَّعْبِ أَشْبَاهَ الرَّسْلِ<sup>(٢)</sup>  
فَأَجَانَاكُمْ إِلَى سَفْحِ الْجَبَلِ  
طَاعَةَ اللَّهِ، وَتَصَدِيقِ الرَّسْلِ  
يَوْمَ بَدْرٍ وَأَحَادِيثِ الْمَثَلِ<sup>(٣)</sup>

أمّا كعب بن مالك رضي الله عنه في قصيدته اللامية على كل من تناول على المسلمين من شعراء قريش، ويوضح لهم أنه إذا كان هناك من قادة المسلمين من قتل في (أحد)، وهو ما أفرح المشركين وشعراءهم فإن عليهم أن يعودوا بذاكرتهم إلى ما أصابهم في (بدر)، وما واجهوه من صور البطولة والتضحية التي أبداها المسلمون<sup>(٤)</sup>، حيث يقول:

- بجحومهم ويحرض المشركين عليهم، وقد أسلم بعد فتح مكة، واعتذر من النبي ﷺ عما بدر منه. وكانت وفاته سنة ١٥ هـ. (انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير ١٦٠/٣).
- (١) شعر عبد الله بن الزبيري ص ٤١ - ٤٢، تحقيق: د. يحيى الجبوري.
- (٢) الرّسل: الإبل المرسله بعضها في إثر بعض.
- (٣) ديوان حسّان بن ثابت ص ٩٣ - ٩٤.
- (٤) انظر: التأثير النفسي للإسلام في الشعر ص ١٧٠.

أَبْلَغُ قُرَيْشًا وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَصْدَقُهُ  
 أَنْ قَدْ قَتَلْنَا بِقَتْلَانَا سَرَائِكُمْ  
 وَيَوْمَ بَدْرٍ لَقِينَاكُمْ لَنَا مَدَدٌ  
 إِنْ تَقْتُلُونَا فَدِينُ اللَّهِ فِطْرَتُنَا  
 وَإِنْ تَرَوْا أَمْرَنَا فِي رَأْيِكُمْ سَفَاهًا  
 فَلَا تَمْنُوا لِقَاحَ الْحَرْبِ وَاقْتَعِدُوا  
 إِنَّ لَكُمْ عِنْدَنَا ضَرْبًا تَرَاخُ لَهُ  
 إِنَّا بَنُو الْحَرْبِ نَمْرِيهَا وَنَتَّجُهَا  
 وَالصِّدْقُ عِنْدَ ذَوِي الْأَلْبَابِ مَقْبُولٌ  
 أَهْلَ اللِّوَاءِ، ففِيمَ يَكْثُرُ الْقَيْلُ؟  
 فِيهِ مَعَ النَّصْرِ مِيكَالٌ وَجَبْرِيلُ  
 وَالْقَتْلُ فِي الْحَقِّ عِنْدَ اللَّهِ تَفْضِيلُ  
 فَرَأَى مَنْ خَالَفَ الْإِسْلَامَ تَضَلِيلُ  
 إِنْ أَخَا الْحَرْبِ أَصْدَى اللُّونِ مَشْعُولُ<sup>(١)</sup>  
 عُرْجُ الضَّبَاعِ لَهُ خِذْمٌ رَعَايِلُ<sup>(٢)</sup>  
 وَعِنْدَنَا لِذَوِي الْأَضْغَانِ تَنْكِيلُ<sup>(٣)</sup>

وكما يظهر فقد أثرت غزوة أحد في نفوس الشعراء في عهد النبي ﷺ، ودعتهم إلى التجاوب معها، والتعبير عن مواقفها وأحداثها، والتصدي لمن حاول الإساءة للنبي ﷺ - وللمسلمين، وهو ما قام به شعراء المشركين بعد الواقعة، الأمر الذي دعا شعراء المسلمين إلى الرد عليهم، وكشف أكاذيبهم وتخريصاتهم، وبيان أثر الإسلام في كل ما تحقق للمسلمين من عزة ومنعة.

### (٣) - غزوة الخندق:

في السنة الخامسة للهجرة تجمعت قوى الشرك لمحاربة النبي ﷺ والمسلمين بالمدينة، وتزعم أبو سفيان تلك الجموع من القرشيين ومن والاهم من غطفان والقبائل المجاورة، ويأتي الجميع إلى المدينة المنورة قاصدين القضاء على الإسلام بحوافلهم وعدتهم الحربية التي لم يكن للمسلمين قبل بها، ولم يكتفوا بذلك بل تعاهدوا مع يهود بني قريظة في حصونهم حول المدينة من أجل القضاء على المسلمين.

ولما علم رسول الله ﷺ بتآمرهم وتخزيهم جمع المسلمين وأعلمهم ما عزم عليه أبو سفيان ومن والاه من غطفان واليهود، وتشاور معهم، وانتهت مشورتهم بحفر خندق حول المدينة حتى يمكنهم التحصن فيها، فإذا دهمهم العدو نالوه ولا ينالهم، وبدأ المسلمون حفر الخندق، وكان الرسول ﷺ يعاونهم في حفره ويشد من عزيمتهم،

(١) لِقَاحُ الْحَرْبِ: زيادتها ونموها. وأصدى اللون: لونه بين السواد والحُمْرة. وَمَشْعُولٌ: أي متقد متلهب.

(٢) تَرَاخُ: تفرخ وتهتز. والخِذْمُ: قطع اللحم. والرَعَايِلُ: المتقطعة.

(٣) ديوان كعب بن مالك ص ٢٥٥ - ٢٥٦.

ويرغبهم فيما عند الله تعالى من الأجر<sup>(١)</sup>، حتى إذا اكتمل حفر الخندق جاءت فلول المشركين التي تجمعت من قبائل عدّة، وتحزبت لحرب المسلمين، يقودهم إلى ذلك طمعهم واستكبارهم وعتوهم، حيث نزلوا بجانب أحد<sup>(٢)</sup>، وهناك ظهر لهم المسلمون الذين كان عددهم يقدر بثلاثة آلاف، والخندق يفصل بين الفريقين، فخرج من بين صفوف المشركين عمرو بن ود العامري - وكان معلماً - وقال: مَنْ يُبارز؟ فخرج له من المسلمين علي بن أبي طالب ﷺ، وقال له: يا عمرو إنك عاهدت الله ألا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلتين إلا أخذتها منه، فقال له: أجل، فقال له علي: فلأني أدعوك إلى النزال، فقال له: لم يا ابن أخي؟ فوالله ما أحب أن أقتلك، فقال له علي: لكنني والله أحب أن أقتلك، فحمني عمرو عند ذلك، فاقتحم عن فرسه، فعفره، وضرب وجهه، ثم أقبل على علي، فتنازلا وتجاولا، فقتله علي ﷺ وخرجت خيلهم منهزمة، حتى اقتحمت من الخندق هاربة<sup>(٣)</sup>.

وقد وصف علي - ﷺ - ذلك الحدث والموقف الشجاع الذي أبان عن قوة المسلمين في مواجهة أعداء الإسلام في أبيات شعرية، قال فيها:

نَصَرَ الْحِجَارَةَ مِنْ سَفَاهَةِ رَأْيِهِ      وَنَصَرْتُ رَبَّ مُحَمَّدٍ بِصَوَابِي  
فَصَدَدْتُ حِينَ تَرَكْتَهُ مُتَجَدِّلاً      كَالْجِدْعِ بَيْنَ دَكَادِكِ وَرَوَابِي<sup>(٤)</sup>  
وَعَفَفْتُ عَنْ أَتْوَابِهِ وَلَوْ أَنَّنِي      كُنْتُ الْمُقَطَّرَ بَزْنِي أَتْوَابِي<sup>(٥)</sup>  
لَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ خَاذِلَ دِينِهِ      وَنَبِيِّهِ يَا مَعْشَرَ الْأَخْزَابِ<sup>(٦)</sup>

وقد شكك ابن هشام في نسبة هذه الأبيات لعلي بن أبي طالب ﷺ<sup>(٧)</sup>. ولم يكن تحزب الأعداء واتحادهم لحرب المسلمين أمراً يثير الهيبة أو الخوف في قلوب المجاهدين، الذين نذروا أنفسهم للدفاع عن عقيدتهم، ونصرة نبيهم ﷺ حيث لقاء

(١) انظر: التأثير النفسي للإسلام في الشعر ص ١٩٤.

(٢) السيرة النبوية ٢/٢١٦ - ٢١٧.

(٣) السيرة النبوية ٢/٢٢٥.

(٤) متجدلاً لاصفاً بالأرض. والجذع: فرع النخلة. والدكادك والدكادك: أرض فيها غلظ، والجمع دكادك.

(٥) المقطر: الذي ألقى أحد قطريه، أي جنبيه، والقطر: الجانب. وبزني: سلبني.

(٦) السيرة النبوية ٢/٢٢٥.

(٧) المصدر السابق ٢/٢٢٥.

الأعداء هو لقاء الشجاعة، والنصرة، والتضحية لقوم ذرّبوا على القتال، وعلموا أنفسهم في الحرب حتى أصبحوا ظاهرين للناس جميعاً، وكانهم أسود يجمعون عرينهم، ويدافعون عن رسالتهم الخالدة<sup>(١)</sup>.. وهي المعاني التي أشار إليها كعب بن مالك ﷺ في قصيدته التي قالها يوم الخندق، حيث قال:

مَنْ سَرَّةً ضَرَبَ يُمَعِّعُ بَعْضُهُ      بَعْضاً كَمَعَمَعَةِ الْأَبَاءِ الْمُخْرِقِ<sup>(٢)</sup>  
فَلَيَاتٍ مَأْسَدَةٌ تُسَنُّ سِيوفُهَا      بَيْنَ الْمِدَادِ وَبَيْنَ جِزَعِ الْخَنْدَقِ<sup>(٣)</sup>  
ذَرَبُوا بِضَرْبِ الْمُعْلِمِينَ<sup>(٤)</sup> وَأَسْلَمُوا      مُنْهَجَاتِ أَنْفُسِهِمْ لِرَبِّ الْمَشْرِقِ  
فِي عُصْبَةِ نَصَرَ الْإِلَهَ نَبِيَّهُ      بِهِمْ، وَكَانَ بَعْبِدِهِ ذَا مَرْفَقِ<sup>(٥)</sup>

ويعني كعب ﷺ في قصيدته إلى وصف السلاح، فيصور الدروع تحكي حلقاتها في سردها المحكم وشكلها الموثق أحداق الجنادب، فهي مستديرة الخلق، تشمرها للحرب حمائل السيوف الصارمة، حيث يقول:

فِي كُلِّ سَابِغَةٍ تَخُطُّ فُضُولُهَا      كَالنَّهْيِ<sup>(٦)</sup> هَبَّتْ رِيحُهُ الْمُتَرَقِّقِ  
يَبْضَاءُ مُحْكَمَةٌ كَأَنَّ قَتِيرَهَا      حَدَقُ الْجَنَادِبِ ذَاتَ شَكِّ مُوْتَقِ<sup>(٧)</sup>  
جَدَلَاءُ يَحْفَرُهَا نَجَادُ<sup>(٨)</sup> مُهْتَدِ      صَافِيِ الْحَدِيدَةِ صَارِمِ ذِي رَوْتَقِ  
تَلْكُمُ مَعَ التَّقْوَى تُكُونُ لِبَاسَتَا      يَوْمَ الْهَيَاجِ وَكُلِّ سَاعَةٍ مَصْدَقِ<sup>(٩)</sup>

(١) انظر: التأثير النفسي للإسلام في الشعر ص ١٩٦.

(٢) المعمة: اختلاط الأصوات وشدة زجلها. الأباء: القصب، ومعمعة الأباء: صوت الحريق في القصب.

(٣) المأسدة: الموضع الذي يجتمع فيه الأسود. وتسنُّ: تُحد. والمداد: موضع بالمدينة حيث حفر الخندق، وقيل هو بين سلع وخندق المدينة. والجزع: الجانب.

(٤) المعلمين: الذين يعلمون أنفسهم في الحرب بعلامة يعرفون بها.

(٥) ديوان كعب بن مالك ص ٢٤٤.

(٦) السابغة: الدروع الكاملة. النهي: الغدير من الماء.

(٧) القتير: مسامير الدروع. والجنادب: ذكور الجراد. والشك: إحكام السرد.

(٨) الجدلاء: الدروع المحكمة أو المدورة الخلق. ويحفرها: يرفعها. والتجاد: حمائل السيوف.

(٩) ديوان كعب بن مالك ص ٢٤٥.



والبيت الأخير يصور أهمية التقوى والإيمان في الحروب التي يخوضها المسلمون؛ إذ ليس من طبعهم أن يركنوا إلى العدة المادية دون أن يدخروا في نفوسهم زاد التقوى الذي يوصلهم إلى غايتهم الكبرى التي يبتغونها من وراء نصرتهم للإسلام. أما الإعداد للمعركة - وهو الجانب الذي أمر به المسلمون وهم يواجهون أعداءهم - فيشير إليه كعب بن مالك من خلال إعداد الخيول الأصيلة المضجرة، التي تصعد بفرسانها إلى حلبة القتال، وتمكنهم من اصطياح أعدائهم، والظفر عليهم، يقول:

وَعِدُّ لِلْأَعْدَاءِ كُلِّ مَقْلَصٍ      وَرَدٍ وَمَحْجُولِ الْقَوَائِمِ أَبْلَقِ<sup>(١)</sup>  
تَرْدَى بِفُرْسَانٍ كَأَنَّ كَمَاتَهُمْ      عِنْدَ الْهِيَاجِ أُسْوَدُ طَلٌّ مُلْتَقِ<sup>(٢)</sup>  
صَدَقَ يُعَاطُونَ الْكَمَاءَ حُتُوفَهُمْ      نَحْتِ الْعِمَامَةِ بِالْوَشِيحِ الْمُرْهَقِ<sup>(٣)</sup>  
أَمَرَ الْإِلَهَ بِرِبْطِهَا لِعَدُوِّهِ      فِي الْحَرْبِ، إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ مُوَفِّقِ  
لِتَكُونَ غَيْظًا لِلْعَدُوِّ وَحَيْطًا      لِلدَّارِ إِنْ دَلَفَتْ خَيُْولَ النَّزْقِ<sup>(٤)</sup>  
وَيُعِينُنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ بِقُوَّةٍ      مِنْهُ، وَصَدَقِ الصَّبْرُ سَاعَةَ نَلْتَقِي  
وَنُطِيعُ أَمْرَ نَبِيِّنَا وَنُجِيهِهِ      وَإِذَا دَعَا لِكَرْيَهَةِ لَمْ نُسْبِقِ  
وَمَتَّى يُنَادِ إِلَى الشَّدَائِدِ نَأْتِيهَا      وَمَتَّى تَرَّ الْحَوْمَاتِ<sup>(٥)</sup> فِيهَا نُعْنِقِ<sup>(٦)</sup>

وفي هذه الموقعة تظهر أكثر من قصيدة شعرية وهي تنافح عن المسلمين، وترد عادية الأعداء، ومن تلك القصائد قصيدة حسان بن ثابت ؓ التي تصدق فيها للرد على شاعر الكفار آنذاك عبد الله بن الزبير الذي أخذ يفتخر بموقف قومه يوم الخندق،

(١) المقلص من الخيول: طويل القوائم ضامر البطن. والورد: الفرس الأشقر الذي حمرة لونه ذاهبة إلى الصفرة. والمحجول: الذي في قوائمه بياض يخالف سائر لونه. والأبلق: إذا تجاوز البياض إلى عضديه وفخذيه.

(٢) ترد: تُسرع. الكماء: جمع كمي وهو الشجاع. الملتق: ما يكون عن الطل من زلق وطين.

(٣) العمامة: سحابة الغبار وظلمته. والوشيح: الرماح. المرهق: المذهب للنفوس.

(٤) دلقت: تقدمت. النزق: الطائشون، السيئو الخلق.

(٥) الحومات: مواطن القتال، واحداها حومة.

(٦) ديوان كعب بن مالك ص ٢٤٦ - ٢٤٧.

ويتطاول على المؤمنين، وذلك في قصيدته البائية<sup>(١)</sup>. حيث نظم حسّان بانيته التي يردُّ فيها على ابن الزُّبَيْرِ، ويبيِّن له الهدف البائس الذي جاءوا من أجله وهو قتل النبي ﷺ والاستيلاء على الغنائم، ولكنهم لم يظفروا من ذلك بشيء، يقول حسّان:

حَتَّى إِذَا رَدُّوا الْمَدِينَةَ وَارْتَجَوْا  
وَعَدُّوا عَلَيْنَا قَادِرِينَ بِأَيْدِهِمْ  
بِهَيِّبٍ مَعْصِفَةٍ تُفَرِّقُ جَمْعَهُمْ  
وَكَفَى الْإِلَآءُ الْمُؤْمِنِينَ قِتَالَهُمْ

قَتَلَ النَّبِيَّ وَمَعْنَمَ الْأَسْلَابِ  
رَدُّوا بَعْضَهُمْ عَلَى الْأَعْقَابِ  
وَجُنُودَ رَبِّكَ سَيِّدِ الْأَرْبَابِ  
وَأَنَابَهُمْ فِي الْأَجْرِ خَيْرَ نَوَابِ<sup>(٢)</sup>

ومن شعراء المشركين من ظلَّ يتوعَّد بعد هزيمة الخندق، ويعدُّ بردًا قاسًا في موقعة لاحقة يصطف منها جيش المشركين لمنازلة المسلمين، وذلك ما يعبر عنه شاعرهم ضرار بن الخطَّاب<sup>(٣)</sup> الذي رأى أن المعركة لم تنته بعد، وأن المنازلة ستكون قريبة، حيث يعبر عن ذلك في قصيدته النونية التي قال فيها:

وَمُشْفِقَةٍ تَنْظُنُّ بِنَا الظُّنُونَا  
وَقَدْ قَدَّتَا عَرْنَدَسَةَ طَحُونَا<sup>(٤)</sup>

وَسَوْفَ تَزُورُكُمْ عَمَّا قَرِيبٍ  
كَمَا زُرْنَاكُمْ مُتَوَازِرِينَ

بِجَمْعٍ مِنْ كِنَائَةٍ غَيْرِ عُزْلِ  
كَأَسَدِ الْغَابِ قَدِ حَمَتِ الْعَرِينَا<sup>(٥)</sup>

لكنَّ كعب بن مالك ﷺ يردُّ على ضرار بن الخطَّاب، ويوضِّح له طبيعة القتال معه، وأسباب النَّصْرِ التي تنزل عليهم من خالقهم، فهم يسعون إلى رفع راية الإسلام، يتقدَّمهم النبي ﷺ الذي دعاهم إلى دين الهدى والحق، وحثهم على الصَّبْرِ واليقين في مواجهة الأعداء، حيث قال:

وَسَائِلُ تُسَائِلُ مَا لَقِينَا  
وَلَوْ شَهِدَتْ رَأَتْنَا صَابِرِينَ

(١) انظر: ديوان عبد الله بن الزُّبَيْرِ ص ٢٩، والقصيدة مطلعها:

حَيَّ الدِّبَارَ مَحَا مَعَارِفَ رَسْمِهَا طُولَ الْبَلَى وَتَرَاوَحُ الْأَحْقَابِ

(٢) ديوان حسّان بن ثابت ص ١٢٠.

(٣) هو ضرار بن الخطَّاب بن مرداس القرشي الفهري، فارس شاعر، قاتل المسلمين، واسلم يوم فتح مكة. (انظر: الاستيعاب في أسماء الأصحاب لابن عبد البر ١/٣٣٧).

(٤) العرنَدَسَةُ: الشَّهيدة القويَّة، يريد الكتيبة. والطَّحُونُ: التي تطحن كلَّ ما مرَّت به.

(٥) السِّيرة النَّبَوِيَّة ٢٥٤ - ٢٥٥.

(٥) العِدْلُ: المِثْل.

صَبْرَنَا لَا نَرَى لِلْبَيْهِ عِدْلًا<sup>(١)</sup>      عَلَى مَا نَابَتْنَا مَتَوَكِّلِينَا  
وَكَانَ لَنَا النَّبِيُّ وَزَيْرٌ صِدْقٍ      بِهِ نَعْلُو الْبَرِيَّةَ أَجْمَعِينَا  
نُقَاتِلُ مَعْشَرًا ظَلَمُوا وَعَقُّوا      وَكَانُوا بِالْعَدَاوَةِ مُرْصِدِينَا<sup>(٢)</sup>  
نُعَاجِلُهُمْ إِذَا نَهَضُوا إِلَيْنَا      بِضَرْبٍ يُعْجِلُ الْمُسْرِعِينَا  
وَفِي أَيْمَانِنَا بِيضٌ خِفَافٌ      بِهَا تَشْفِي مِرَاحَ الشَّاعِينَا<sup>(٣)</sup>  
بِيَابِ الْخُنْدَقِينَ كَأَنَّ أَسْدًا      شَوَابِكُهُنَّ يَحْمِينَ الْعَرِينَا  
لِنَنْصُرَ أَحْمَدًا وَاللَّيْنَةَ حَتَّى      نَكُونَ عَبَادَ صِدْقٍ مُخْلِصِينَا  
وَيَعْلَمَ أَهْلُ مَكَّةَ حِينَ سَارُوا      وَأَحْزَابٌ أَتَوْا مُتَحَزِّبِينَا  
بَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ لَهٗ شَرِيكٌ      وَأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الْمُؤْمِنِينَا<sup>(٤)</sup>

وقد أراد الرسول ﷺ أن يؤمن المدينة وحدودها بعد موقعة الخندق مع قريش وبخاصة من الفتنة التي كان يوقد جذوتها يهود بني قريظة وبني النضير، الذين اشتركوا في موقعة الخندق مع قريش، وقصدوا إثارة الفتنة بين الناس في المدينة أثناء الموقعة، حيث نقضوا عهود الأمان التي أبرمها المسلمون، ولجأوا للغدر والمكيدة، لأجل ذلك وجه النبي ﷺ جيشه لمحاربتهم، حيث حاصروهم في حصونهم، وانتصر عليهم، وباءت كل مكائدهم بالفشل، ونالوا جزاء ما كانوا يفعلونه مع المسلمين من الإخلاف بالعهد والتجالف مع المشركين، يقول حسَّان بن ثابت:

لَقَدْ لَقِيتُ قُرَيْظَةَ مَا سَاءَ هَا      وَحَلَّ بِحِصْنِهَا ذُلٌّ ذَلِيلٌ  
فَمَا بَرِحُوا بِنَقْضِ الْعَهْدِ حَتَّى      غَزَاهُمْ فِي دِيَارِهِمُ الرَّسُولُ  
أَحَاطَ بِحِصْنِهِمْ مِنْهَا صُفُوفٌ      لَهُ مِنْ حَرٍّ وَقَعْتِهَا صَلِيلٌ

(١) المرصد: المصد للأمر عدته.  
(٢) الميراح: النشاط. والشاعين: الذين ديدتهم الشعب وتمييح الشر.  
(٣) ديوان كعب بن مالك ص ٢٧٩ - ٢٨٠.

وَصَارَ الْمُؤْمِنُونَ بِدَارِ حُلَيْدٍ أَقَامَ لَهُمْ بِهَا ظِلٌّ ظَلِيلٌ<sup>(١)</sup>  
(٤) - غزوة مؤتة:

كانت غزوة مؤتة - في السنة الثامنة للهجرة - أول معركة تقع بين جيش المسلمين وجيش الروم الذين وصلتهم الأخبار عن قوة ذلك الجيش المسلم، وكان سبب هذه الغزوة أن النبي ﷺ أرسل الحارث بن عمير بكتاب إلى أمير (بصرى) من جهة هرقل، وهو الحارث بن أبي شمر الغساني، فلما نزل مؤتة تعرض له شرحبيل بن عمرو الغساني وقتله، فلما بلغ الأمر رسول الله ﷺ اشتد ذلك عليه، وجهز جيشاً لمقاتلة ملوك الروم<sup>(٢)</sup>. وقد أمر ﷺ مولاه زيد بن حارثة على ثلاثة آلاف من المسلمين، وندب الناس وقال لهم: إن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب على الناس، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس، فإن قتل ابن رواحة فليترض المسلمون بينهم رجلاً فليجعلوه عليهم<sup>(٣)</sup>. والتقى الجيشان جيش المسلمين وجيش الروم - الذي كان يقدر عدده بمائتي ألف مقاتل - في مكان يقال له مؤتة، فقاتل زيد بن حارثة ﷺ براية رسول الله ﷺ حتى قتل في رماح القوم، ثم أخذ الراية من بعده جعفر بن أبي طالب ﷺ فقاتل بها حتى إذا ألحمه القتال، وأحاط به العدو من كل جانب، اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها حتى لا تقع في يد العدو، ثم أقبل يقاتل وهو يردد أياتاً تحمل معاني الشجاعة والبسالة والتضحية في ما عند الله من التعميم والرضوان، ودخول الجنان، فهو يقاتل ابتغاء ما عند الله، والجنة عنده أسمى مطلوب، وفي ذلك يقول ﷺ:

يا حَبِّذَا الْجَنَّةُ واقْتَرَابُهَا طَيِّبَةٌ وَبَارِدًا شَرَابُهَا  
والرُّومُ رُومٌ قد دَنَا عَذَابُهَا كَافِرَةٌ بَعِيدَةٌ أَنْسَابُهَا  
عَلَيَّ إِذْ لاقَيْتُهَا ضَرَابُهَا<sup>(٤)</sup>

ثم قاتل حتى قتل ﷺ .  
ثم أخذ الراية من بعده عبد الله بن رواحة ﷺ فتقدم يقاتل الروم، فداخل نفسه شيء من روع لا يخلو منه الموقف، فجعل يحفز نفسه ويشد من عزيمتها، وهو يردد بعض

(١) ديوان حسان بن ثابت ص ٢٤٥.

(٢) انظر: تأملات في سيرة الرسول ﷺ، د. محمد السيد الوكيل ص ٢٣٧.

(٣) انظر: السيرة النبوية ٢/٣٧٣.

(٤) المصدر السابق ٢/٣٧٨.

الآيات الشعرية التي يقول فيها:  
 أَفَسَمْتُ يَا نَفْسُ لَتَنْزِلُنِي  
 لَتَنْزِلُنِي أَوْ لَتَكْرَهُنِي  
 إِنْ أَحْلَبَ النَّاسُ وَشَدُّوا الرِّكَّةَ (١)  
 مَالِي أَرَاكَ تَكْرَهُينَ الْجَنَّةَ  
 قَدْ طَالَمَا قَدْ كُنْتُ مُطْمَئِنَّةً  
 هَلْ آتَيْتِ إِلَّا لَطْفَةً فِي شَيْءٍ (٢)  
 ثُمَّ تَقْدَمُ بِقَاتِلٍ، فَأَصِيبُ إِصْبَعَهُ، فَارْتَجُزُ قَاتِلًا:  
 هَلْ آتَيْتِ إِلَّا إِضْبَعُ دَمِي  
 فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيتِ  
 يَا نَفْسُ إِلَّا تُقْتَلِي تُمُوتِي  
 هَذَا حِيَاضُ الْمَوْتِ قَدْ صَلَيْتِ  
 وَمَا تَمْنَيْتِ فَقَدْ لَقِيتِ  
 إِنْ تَفْعَلِي فِعْلَهُمَا هُدَيْتِ  
 وَإِنْ تَأَخَّرْتِ فَقَدْ شَقِيتِ (٣)

فقاتل حتى قتل ﷺ.

ومن القصص التي تروي صور البطولة والإقدام في حياة الشاعر عبد الله ابن رواحة ﷺ تلك التي رواها ابن هشام. إذ يروي أن رسول الله ﷺ حين جهز جيش المسلمين لملاقاة الروم، وكان ابن رواحة القائد الثالث للمعركة إن استشهد سابقاه، وهما زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب -رضي الله عنهما- فلما ودَّع عبد الله من رسول الله مع من ودَّع بكى، فقالوا: ما يبكيك يا ابن رواحة؟ فقال: أما والله ما بي حُبُّ الدنيا ولا صباة بكم، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آية من كتاب الله -عز وجل- يذكر فيها النار ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ (٤)، فلست أدري كيف لي بالصدر بعد الورود؟ فقال المسلمون: صُحِّبْكُمْ اللَّهُ، وُدِّعْ عَنْكُمْ، وودَّعكم إلينا صالحين (٥)، ثم أنشد ابن رواحة أبياتا يعبر فيها عما في نفسه وهو يسير في الجهاد راجيا مغفرة ربه ورضوانه، والفوز بالشهادة في سبيله، إذ قال:  
 لَكُنِّي أَسْأَلُ الرَّحْمَنَ مَغْفِرَةً وَضَرْبَةً ذَاتَ فَرْغٍ تَقْدِفُ الرَّبْدَ (٦)

(١) أحلب القوم: صاحوا واجتمعوا. والركبة: صوت فيه ترجيع يشبه البكاء.

(٢) ديوان عبد الله بن رواحة - ودراسة في سيرته وشعره - د. وليد قصاب ص ١٥٣.

(٣) ديوان عبد الله بن رواحة ص ١٥٤.

(٤) سورة مريم، الآية ٧١.

(٥) النظر: السيرة النبوية ص ٣٧٣/٢ - ٣٧٤.

(٦) ذات فرغ: الفرغ طرج الماء من الدلو. والزبد: الرغوة.

أَوْ طَعْمَةً يَدِي حَرَّانَ مُجْهِزَةً بِحَرْبَةٍ تُنْفِذُ الْأَحْشَاءَ وَالْكَبِيدَا<sup>(١)</sup>  
حَتَّى يُقَالَ إِذَا مَرُّوا عَلَيَّ جَدِّي أُرْشِدُهُ اللَّهُ مِنْ غَايٍ وَقَدْ رَشِدَا<sup>(٢)</sup>

وكان المسلمون لَمَّا نزلوا (مَعَان) من أرض الشَّام هالهم ما رأوا من كثرة عدد الروم وما يملكونه من عتاد، وبدأوا يفكرون في ذلك، وهل يرسلون إلى الرسول ﷺ يخبرونه بذلك أم لا؟ فقام عبد الله بن رواحة رضي الله عنه يشجعهم ويستحثهم على القتال، مبيِّناً لهم أن النَّصر لا يتحقق عن كثرة العدد أو العُدَّة وإنما يتحقق بالصبر والمصابرة والطاعة والإخلاص في إعلاء راية الإسلام، وهزيمة المشركين، فاجاهد في سبيل الله يقاتل الأعداء وهو يرجو الظفر بإحدى الحسينين، إمَّا النَّصر وإمَّا الشَّهادة في سبيل الله<sup>(٣)</sup>. فتشجَّع النَّاس وقالوا: قد - والله - صدق ابن رواحة، وأنشد في ذلك الموقف يقول:

جَلَبْنَا الْخَيْلَ مِنْ أَجَاٍ وَفَرَعٍ<sup>(٤)</sup> تُغَرُّ مِنَ الْحَشِيشِ لَهَا الْعُكُومُ<sup>(٥)</sup>  
حَدَوْنَاهَا مِنْ الصَّوَّانِ سَبْتَا أزلَّ كَأَنَّ صَفْحَتَهُ أَدِيمُ<sup>(٦)</sup>  
أَقَامَتْ لَيْلَتَيْنِ عَلَى مَعَانَ فَأَعْقَبَ بَعْدَ فِتْرَتِهَا جُمُومُ<sup>(٧)</sup>  
فَرَحْنَا وَالْجِيَادُ مُسَوَّمَاتُ<sup>(٨)</sup> تَنْفَسُ فِي مَنَاحِرِهَا السُّمُومُ  
فَلَا وَابِي مَابٍ<sup>(٩)</sup> لِنَاتِنِهَا وَإِنْ كَانَتْ بِهَا عَرَبٌ وَرُومُ  
فَعَبَانَا أَعْتَبَهَا فَجَاءَتْ عَوَابِسُ، وَالْعُوبَارُ لَهَا بَرِيمُ<sup>(١٠)</sup>

(١) الحرَّان: العطشان. مُجْهِزَة: مسرعة متممة، يقال: أجهز على الجريح إذا أماته.

(٢) ديوان عبد الله بن رواحة ص ١٤٧.

(٣) انظر: السيرة النبوية ٣٧٥/٢.

(٤) أجَا: أحد جبلي طيء، والآخر سلمى. والفرع: اسم موضع.

(٥) تغرُّ: تطعم شيئاً بعد شيء. والعُكُومُ: جمع عكم، وهو الجنب.

(٦) الصَّوَّان: حجارة مُلس، واحدها صوانة. أزلَّ: أملس. الأديم: الجلد.

(٧) الجموم: النشاط والراحة.

(٨) مسوَّمات: معلّقات.

(٩) مآب: اسم مدينة في طرف الشَّام من نواحي البلقاء.

(١٠) البريم في الأصل: خيطان مختلفان أحمر وأبيض، وكل ما فيه لوانان مختلطان فهو بريم.

بِذِي لَجَبٍ كَأَنَّ الْبَيْضَ فِيهِ إِذَا بَرَزَتْ قَوَانِسُهَا التُّجُومُ<sup>(١)</sup>  
فَرَاضِيَّةٌ<sup>(٢)</sup> الْمَعِيشَةَ طَلَّقَتْهَا أَسْتَتَّهَا، فَتَنَكَّحُ أَوْ تَتِمِّمُ<sup>(٣)</sup>

وفي ليلة السفر إلى مؤتة، وبينما كان الطريق طويلاً وشاقاً، كان عبد الله ابن رواحة  
يستغرق في الأمل بالشهادة والفوز برضوان الله - عز وجل - إذ ذهب يناجي  
ناقته، ويشرها بتحريرها من الأسفار، فلا عودة إلى بلاد النخيل، لأنه عزم في  
قرارة نفسه على شد الرحال إلى جوار ربه - جل وعلا - حيث يقول:

إِذَا أَدْبَتْنِي وَحَمَلْتِ رَحْلِي مَسِيرَةَ أَرْبَعِ بَعْدَ الْحِسَاءِ<sup>(٤)</sup>  
فَشَأْنُكَ أَنْعَمٌ، وَخَلَاكِ ذَمٌّ وَلَا أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي وَرَائِي  
وَجَاءَ الْمُسْلِمُونَ وَغَادَرُونِي بِأَرْضِ الشَّامِ مُشْتَهِي الثَّوَاءِ  
وَرَدَّكَ كُلُّ ذِي نَسَبٍ قَرِيبٍ إِلَى الرَّحْمَنِ مُنْقَطِعَ الْإِخَاءِ  
هُنَالِكَ لَا أَبَالِي طَلَعَ بَعْلٌ<sup>(٥)</sup> وَلَا نَخْلٌ أَسَافَلُهَا رِوَاءِ<sup>(٦)</sup>

ولا يخفى ما في هذه الأبيات من تعلق الشاعر بالشهادة، والسير لأجلها على راحلته،  
التي بلغت رحلته المأمولة، ولقي ما كان يرجوه من الاستشهاد في سبيل الله، والفوز  
برضوانه - عز وجل - وهي صورة مؤثرة تعكس روح التضحية والفداء التي قدمها  
أولئك المجاهدون في تلك الغزوات.

(٥) - فتح مكة:

كانت الإرهاصات لهذا الفتح المجيد منذ وقت مبكر، ففي نهاية العام السادس للهجرة  
عزم النبي ﷺ أن يدخل مكة معتمراً، فاستنفر المؤمنين بالمدينة ليخرجوا معه، فلمَّا  
شعر أهل مكة بقدمه أرسلت إليه قريش تستطلع الأمر أقتال أم عمرة، فلمَّا علموا

(١) اللجب: اختلاط الأصوات وكثرتها. والبيض: ما يوضع على الرأس من الحديد. والقوانس: جمع  
قونس، وهو أعلى البيضة.

(٢) راضية: أي مرضية.

(٣) ديوان عبد الله بن رواحة ص ١٤٩ - ١٥٠.

(٤) أدبني: أوصلي. والحساء: جمع حسي، وهو ماء يغور في الرمل.

(٥) البعل: النخل الذي يشرب بعروقه من الأرض فيستغني عن السقي، ويقال: استبعل النخل: أي:  
شرب بعروقه.

(٦) ديوان عبد الله بن رواحة ص ١٥١.

بحقيقة الموقف أخذهم العزة بالإثم، وطلبوا عقد هدنة مع النبي ﷺ والمسلمين تقضي بأن يكف عنهم القتال لعشرة أعوام وأن يرجع إلى المدينة عامهم هذا، فإذا انصرم جاء ومن معه من المسلمين معتمرين في العام القابل، وبعد عودته ﷺ إلى المدينة جرت أحداث كثيرة نقض المشركون خلالها الهدنة وأغاروا على (خزاعة) الداخلة في عهد رسول الله ﷺ، فجهز - عليه السلام - الجيش المؤمن وقاده إلى مكة، وحمل علي بن أبي طالب ﷺ اللواء، وفتحت مكة ودخلها رسول الله ﷺ ومن معه وكان ذلك نصراً عظيماً للمسلمين<sup>(١)</sup>.

وقد واكب الشعر ذلك الفتح، وأشاد الشعراء بما تحقق للمسلمين في هذا الفتح من عزٍّ ومنعة ونصر للإسلام، حيث أظهرت القصائد الشعرية قدرة جيش المسلمين على الفتح، وتمكين الله تعالى لهم. ومن ذلك ما يظهر في قول بجير بن زهير<sup>(٢)</sup> حين يصف هذا الفتح، ويشير إلى الطريقة التي التقى فيها الجمعان، جيش المسلمين بعزيمته وصبره وتوكله على الله تعالى، وجيش الكفر بتخاذله وانكساره، فكانت الصيحات والطعان وقفزات خيل المؤمنين معيرة عن الفرح بنصر الله، فقد أهال المؤمنون على خصومهم ضرباً بالسيوف، وطعنا بالرماح، حتى تحقق لهم ما كانوا يأملون فيه من الهجرة، وباء الكفار بالهزيمة والخسران، وفي ذلك يقول بجير:

ضربتاهم بمكة يوم فتح النَّـ  
صَبَحْتَاهُمْ بِسَبْعٍ<sup>(٣)</sup> مِنْ سُلَيْمٍ  
نَطَا أَكْتَفَهُمْ ضَرْباً وَطَعْنَا  
تَرَى بَيْنَ الصُّفُوفِ لَهَا حَفِيفاً  
فَرُحْنَا وَالْجِيَادُ تَجُولُ فِيهِمْ  
فَأَبْنَا غَانِمِينَ بِمَا اشْتَهَيْنَا  
بِي الْخَيْرِ بِالْبَيْضِ الْخِفَافِ  
وَأَلْفٍ مِنْ بَنِي عَثْمَانَ وَافٍ  
وَرَشْقاً بِالْمَرِيْشَةِ اللَّطِيفِ<sup>(٤)</sup>  
كَمَا انصَاعَ الْفُوقِ مِنَ الرَّصَافِ<sup>(٥)</sup>  
بِأَرْمَاحٍ مَقْوَمَةِ الثَّقَافِ  
وَأَبْوَا نَادِمِينَ عَلَى الْخِلَافِ

(١) انظر: التأثير النفسي للإسلام في الشعر ص ١٢١-١٢٢.

(٢) هو: بجير بن زهير بن أبي سلمى المزني، أسلم قبل السنة السابعة للهجرة، ودعا أخاه كعباً للإسلام، وشهد مع المسلمين بعض الغزوات ومنها فتح مكة. (انظر: الإصابة في تمييز الصحابة ١٤١/٢).

(٣) سبع: أي بسبع مائة. وبنو عثمان: هم مزيعة.

(٤) نطأ: أراد نطأ، فحفف الحمزة. والرشق: الرمي السريع. والمريشة: يعني السهام قوات الريش.

(٥) الحفيف: الصوت. وانصاع: انشق. والفوق هنا: فوق، وهو طرف السهم الذي يلي السوتر. والرصاف: جمع رصفة، وهي عصبة تلوى فوق السهم.



وَأَعْطَيْتَنَا رَسُولَ اللَّهِ مِنَّا      مَوَاتِقَنَا عَلَى حُسْنِ التَّصَافِي  
وَقَدْ سَمِعُوا مَقَالَتَنَا فَهَمُّوا      غَدَاةَ الرَّوْعِ مِنَّا بِأَنْصِرَافِ  
وَيَتَوَقَّفُ الْعَبَّاسُ بْنُ مَرْدَاسِ السُّلَمِيِّ (١)      عِنْدَ فَتْحِ مَكَّةَ بَعْدَ أَنْ اشْتَرَكَ مَعَ قَوْمِهِ مِنْ  
بَنِي سُلَيْمٍ فِي ذَلِكَ الْفَتْحِ، حَيْثُ يَبِينُ فِي إِجْدَى قِصَائِدِهِ الْقُوَّةَ الْعَدَدِيَّةَ لِقَوْمِهِ الَّذِينَ  
شَارَكُوا تَحْتَ إِمْرَةِ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ ﷺ مَوْضِحًا مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْإِقْدَامِ، وَالْبَسَالَةِ،  
والتَّضْحِيحَةِ مِنْ أَجْلِ تَحْقِيقِ النَّصْرِ، حَيْثُ يَقُولُ:  
مِنَّا بِمَكَّةَ يَوْمَ فَتْحِ حَمَّادٍ      أَلْفٌ تَسِيلُ بِهِ الْبِطَاحُ (٢) مُسَوِّمٌ  
نَصَرُوا الرَّسُولَ، وَشَاهَدُوا أَيَّامَهُ      وَشِعَارُهُمْ (٣) يَوْمَ اللَّقَاءِ مُقَدِّمٌ  
فِي مَنْزِلٍ ثَبَّتَ بِهِ أَقْدَامُهُمْ      ضَنْكَ كَأَنَّ الْهَامَ فِيهِ الْحَنْتَمُ (٤)  
جَرَّتْ سَنَابِكُهَا بِنَجْدِ قَبْلَهَا      حَتَّى اسْتَقَادَ لَهَا الْحِجَازُ الْأَذْهَمُ  
اللَّهُ مَكْنَهُ لَهْ وَأَذْلَهُ      حُكْمُ السُّيُوفِ لَنَا وَجَدُّ مِزْحَمٍ (٥)  
عَوْدُ الرَّيَّاسَةِ شَامِخٍ (٦) عَرِينُهُ      مُتَطَلِّعٌ نَغَرَ الْمَكَارِمِ خِضْرُمٍ (٧)

وينطلق حسَّان بن ثابت ؓ في همزيته من جانب الدفاع عن الدَّعوة الإسلامية وصاحبها ﷺ الذي ما فتى المشركون يكيلون له السَّيَّاب، والتَّهَم، ويرمونَه بأبشع الصِّفَات في وقت هو يسعى إلى هدايتهم ويدخولهم الدِّين الحق لينعموا بسماحته وعدله، ولكن أئمة الكفر ورؤوس الفتنة ظلوا يكيدون له، ولذا هجَّاهم حسَّان ر بما قدَّمت أيديهم في تعذيب المؤمنين، والتَّطاول على سيد المرسلين ﷺ، حيث يقول:

(١) هو: العباس بن مرداس بن أبي عامر بن حارثة السُّلَمِي، يكنى أبا الهيثم، وهو من شعراء البادية، أسلم قبيل فتح مكة، وشارك مع قومه في الجهاد ونصرة الإسلام، توفي سنة ١١٨ هـ. (انظر: الإصابة لابن حجر ٣٤٢/١).

(٢) البِطَاحُ: جمع بطحاء، وهي الأرض السَّهْلَةُ المتسعة.

(٣) شعارهم: علامتهم في الحرب.

(٤) ضنك: ضيق. والهام: الرؤوس. والحنتم: الحنظل.

(٥) مزحم: كثير المزاحمة، يريد أن جدَّهم غالب.

(٦) العَوْدُ (هنا): الرَّجُلُ الْمُسْنُ. وشامخ: مرتفع، والخضرم: الجواد الكثير العطاء.

(٧) السِّيرة النبوية ٢/٤٢٦ - ٤٢٧.

أَلَا أُنْبِغُ أَبَا سُفْيَانَ (١) عَنِّي  
هَجَوْتُ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ  
أَتَهَجُّوهُ وَلَسْتُ لَهُ بِكُفٍ  
هَجَوْتُ مُبَارَكًا بَرًّا حَيِّفًا  
فَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللَّهِ مِنْكُمْ  
فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي  
لِسَانِي صَارِمٌ لَا عَيْبَ فِيهِ  
فَأَنْتَ مُجَرِّفٌ نَجِيبٌ هَوَاءُ  
وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَلِكَ الْجَزَاءُ  
فَشَرُّكُمْ لِخَيْرِكُمْ مَا الْفِئَاءُ  
أَمِينُ اللَّهِ، شِيمَتُهُ الْوَفَاءُ  
وَيَمْدَحُهُ وَيَنْصُرُهُ سَوَاءُ  
لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاءُ  
وَبَحْرِي مَا تُكَدِّرُهُ الدَّلَاءُ (٢)

وكما يظهر في البيت الأخير فإن حسان رضي الله عنه يفخر بفصاحته وبلاغته وجودة شعره، فإذا كان الأعداء يظنون أنهم ينالون من المسلمين بشعرهم فإن هذا السلاح هو أمضى وأقوى لدى المسلمين؛ لأنهم يدعون إلى الحق، ويذودون عن عقيدتهم بسناتهم ولسانهم.

ويصف العباس بن مرداس رضي الله عنه طريقة الجيش الفاتح في السير إلى الجهاد، وكيف أنهم يسرون تحت إمرة النبي الكريم ﷺ ويطيعونه فيما أمر، ويجتنبون ما نهى عنه، الأمر الذي حقق لهم الفلاح، وأخضع الأقوام للدخول في دين الله، وفي ذلك يقول:

فَمَنْ مَبْلُغُ الْأَقْوَامِ أَنْ مُحَمَّدًا  
دَعَا رَبَّهُ وَاسْتَنْصَرَ اللَّهَ وَخَدَهُ  
سَرِينًا وَوَاعَدْنَا قَدِيدًا مُحَمَّدًا  
تَمَارَوْا بِنَا فِي الْفَجْرِ حَتَّى تَبَيَّنُوا  
فَإِنَّ سَرَاةَ الْحَيِّ إِنْ كُنْتَ سَائِلًا  
وَجُنْدٌ مِنَ الْأَنْصَارِ لَا يَخَذُلُونَهُ  
رَسُولُ الْإِلَهِ رَاشِدٌ حَيْثُ يَمَّمَا  
فَأَصْبَحَ قَدْ وَقَى إِلَيْهِ وَأَنْعَمَا  
يَوْمٌ بِنَا أَمْرًا مِنَ اللَّهِ مُحْكَمًا  
مَعَ الْفَجْرِ فَيَانَا وَغَابًا مُقَوَّمًا  
سَلِيمٌ وَفِيهِمْ مِنْهُمْ مَنْ تَسَلَّمَا  
أَطَاعُوا فَمَا يَعْصُونَهُ مَا تَكَلَّمَا (٣)

(١) هو أبو سفيان الحارث بن عبد المطلب.

(٢) ديوان حسان بن ثابت ص ٧٥-٧٦.

(٣) السيرة النبوية ٤/ ١١٠-١١١.

وبعد الفتح الإسلامي وما أدخله من فرح في النفوس توجه المسلمون بقيادة الرسول ﷺ إلى الطائف لدعوة أهلها إلى الدخول في الإسلام، وبيان موقفهم منه، وكان مع الركب المتجه إلى الطائف كعب بن مالك رضي الله عنه الذي نظم قصيدته في وصف المعارك التي خاضها جيش المؤمنين، وقد تكلمت بالنصر المؤزر، وما تبع ذلك من دخول الناس في دين الله أفواجا حتى وصل ذلك الجيش إلى الطائف<sup>(١)</sup>، ليكمل رسالته في نشر الدعوة الإسلامية، حيث يقول كعب في مطلع قصيدته:

قَضِينَا مِنْ تِهَامَةَ كُلِّ رَيْبٍ وَخَيْرٍ، ثُمَّ أَجْمَمْنَا<sup>(٢)</sup> السُّيُوفَا  
تُخَيْرُهَا، وَلَوْ نَطَقْتَ لَقَالَتْ قَوَاطِعُهُنَّ: دَوْسًا أَوْ ثَقِيفًا  
فَلَسْتُ لِحَاضِنٍ<sup>(٣)</sup> إِنْ لَمْ تَرَوْهَا بِسَاحَةِ دَارِكُمْ مِمَّا أُلُوفًا  
وَتَتَزَعُ العُرُوشَ بِبَطْنِ (وَجٍ)<sup>(٤)</sup> وَتُصْبِحُ دُورَكُمْ مِمَّا خُلُوفًا  
وَيَأْتِيكُمْ لَنَا سَرْعَانُ خَيْلٍ يُغَادِرُ خَلْفَهُ جَمْعًا كَثِيفًا  
بِأَيْدِيهِمْ قَوَاضِبُ مُرْهَفَاتٍ يُزِرْنَ المِصْطَلِينَ بِهَا الحُتُوفَا  
كَأَمْثَالِ العَقَائِقِ أَخْلَصَتْهَا قِيُونَ الهِنْدِ لَمْ تُضْرَبْ كَثِيفًا<sup>(٥)</sup>  
تَخَالُ جَدِيَّةَ الأَبْطَالِ فِيهَا غَدَاةَ الرَّحْفِ جَادِيًا<sup>(٦)</sup> مَدُوفًا<sup>(٧)</sup>

وبعد هذه المقدمة التي أبان فيها كعب رضي الله عنه عما صنعه المسلمون مع أعداء الدعوة الذين لم يستجيبوا لنداء الحق، انطلق بعد ذلك إلى إنذار المشركين بما ينتظرهم من سوء العاقبة إن لم يتبعوا الطريق الحق، وإشهادهم بأنهم قادمون، فمن أثر السلام فليسلم بما جاء به المصطفى ﷺ ليعيش عيشة راضية، ومن لم يسلم، أو تحدته نفسه

(١) انظر: التأثير النفسي للإسلام في الشعر ص ٢٣٩.

(٢) أَجْمَمْنَا: أَرَحْنَا.

(٣) الحَاضِنُ: المرأة التي تحضن ولدها.

(٤) وَجٍ: من أسماء الطائف. (انظر: معجم البلدان ٣٦١/٥).

(٥) العَقَائِقُ: جميع عقيقة، وهي شعاع البرق. وكتيف: جمع كتيفة، وهي الصفائح الحديد التي تستعمل في صنع الأبواب.

(٦) الجَدِيَّةُ: الطريقة من الدوم. والجَادِيُّ: الزعفران. ومدوف: مخلوط بغيره.

(٧) ديوان كعب بن مالك ص ٢٣٤ - ٢٣٥.

بالموادعة، فليتحمل وزره ووزر من أثبعه، أو استحباب لنصحه<sup>(١)</sup>، حيث ينطلق كعب في هذا المعنى فيقول:

أَجِدُّهُمْ أَلَيْسَ لَهُمْ نَصِيحٌ      مِنْ الْأَقْوَامِ كَانَ بِنَا عَرِيفًا<sup>(٢)</sup>  
يُخَيِّرُهُمْ بِنَانَا قَدْ جَمَعْنَا      عِتَاقَ الْخَيْلِ وَالنُّجُبِ الطَّرُوفَا<sup>(٣)</sup>  
وَأَنَا قَدْ أَتَيْتَنَاهُمْ بِزَخْفٍ      يُحِيطُ بِسُورِ حِصْنِهِمْ صُفُوفَا  
رَيْسُهُمُ النَّبِيُّ وَكَانَ صَلْبًا      نَقِيَّ الْقَلْبِ مُصْطَبِرًا عَزُوفَا  
رَشِيدَ الْأَمْرِ ذُو حُكْمٍ وَعِلْمٍ      وَحَلِيمٍ لَمْ يَكُنْ نَزِقًا خَفِيفَا  
نُطِيعُ نَبِيَّنَا وَنُطِيعُ رَبَّنَا      هُوَ الرَّحْمَنُ كَانَ بِنَا رَوْفَا  
فَإِنْ تُلْقُوا إِلَيْنَا السَّلْمَ نَقْبَلُ      وَنَجْعَلُكُمْ لَنَا عَضُدًا وَرِيفَا<sup>(٤)</sup>  
وَإِنْ تَأْبُوا نُجَاهِدْكُمْ وَنَصْبِرُ      وَلَا يَكُ أَمْرُنَا رَعِشًا ضَعِيفَا  
نُحَالِدُ مَا بَقِينَا أَوْ تُنِيُوا      إِلَى الْإِسْلَامِ إِذْعَانًا مُضِيفَا<sup>(٥)</sup>  
نُجَاهِدُ لَا بُيَالِي مَنْ لَقِينَا      أَأَهْلَكْنَا التَّلَادَ أَمْ الطَّرِيفَا  
لَأْمْرِ اللَّهِ وَالْإِسْلَامِ حَتَّى      يَقُومَ الدِّينُ مُعْتَدِلًا حَنِيفَا<sup>(٦)</sup>

فقد أبان كعب ﷺ في هذه الآيات عن السبب في المضي إلى الجهاد وتحقيق الانتصارات وهو الدعوة إلى الإسلام والدخول فيه، وإخراج الناس من دياجير الشرك والضلال إلى أنوار الهداية والإيمان، لذا كانت هذه الدعوة هي السمة البارزة في شعر الغزوات، حيث أبان الشعراء في كثير من قصائدهم عن حرصهم على دخول الناس في هذه الدعوة المباركة، والاستنارة بنور الإسلام، كي يتغيروا ظلاله، وينعموا بسماحته وعدله.

- (١) انظر: التأثير النفسي للإسلام في الشعر ص ٢٤٠.  
(٢) أجدهم: بكسر الجيم وفتحها بمعنى: أبعد منك هذا، ونصبت على طرح الباء. وعريفًا: عارفًا.  
(٣) عتاق: جمع عتيق. والنجب: جمع نجيب. والطرؤف: جمع طرؤف (بكسر الطاء)، وكلها صفات للخيل بمعنى: الكريمة الأصل.  
(٤) الريف: الموضع المنحصب على الماء. يريد يتخذكم أعواناً على الحرب، ونستمد من ريفكم العيش.  
(٥) نحالد: نحارب بالسيوف. ومضيفًا: ملجأ.  
(٦) ديوان كعب بن مالك ص ٢٣٥ - ٢٣٧.

## الفصل الثاني

### القيم الفنية في شعر الغزوات

أولاً: أثر القرآن الكريم في أسلوب الشعر  
من الجوانب البارزة في شعر الغزوات ما أئسم به ذلك الشعر من الميل إلى الألفاظ والمعاني القرآنية، وذلك من خلال الاقتباس من الذكر الحكيم، فقد تأثر الشعراء من الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم - بالقرآن الكريم وبيدع أسلوبه وجمال معانيه، فكان أسلوبه المعجز محل اهتمامهم وإجلالهم، ولذا فقد عمدوا إلى الاستنارة بنوره، والإفادة من معانيه السامية في أشعارهم، وهو ما ظهر جلياً في اقتباسات حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة، وغيرهم من الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم - وهو ما سيوضح من خلال الوقوف على تلك الأشعار.

الاقتباس من القرآن الكريم:

توقف شعراء الغزوات عند بعض الآيات القرآنية، وتمثلوا معانيها، وأدخلوها في أشعارهم التي تتحدث عن نصره الإسلام، والدفاع عن العقيدة الإسلامية، والتصدّي للمشركين الذين ما فتوا ينالون من المسلمين، ويتعرضون لهم بالهجاء. وكان من أولئك المتأثرين بالقرآن الكريم حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه فقد عبّر شعر الغزوات عنده عن معانٍ إيمانية عميقة، تستلهم رؤيتها الحقّة من القرآن الكريم، ومن ذلك ما يظهر في قوله:

وَقُلْتُمْ لَنْ نُرَى، وَاللَّهُ يُبْصِرُكُمْ  
عَمْدٌ وَالْعَزِيزُ اللَّهُ يُخْبِرُهُ  
وَفِيكُمْ مُحْكَمُ الْآيَاتِ وَالْقِيلِ  
بِمَا تُكِنُّ سَرِيرَاتُ الْأَقَاوِيلِ<sup>(١)</sup>

فالبيت الأول مقتبس من قول الحق تبارك وتعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾<sup>(٢)</sup>. والبيت الثاني مقتبس من قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ

(١) ديوان حسان بن ثابت ص ٣٠٢.

(٢) سررة الأنعام، الآية ١٠٣.

يَعْلَمُ مَا تَكْنُ صُدُورُهُمْ وَمَا يَعْلَمُونَ ﴿١﴾.

وفي رائية كعب بن مالك ﷺ التي ردَّ بها على قصيدة ضرار بن الخطاب يقول في مطلعها:  
عَجِبْتُ لِأَمْرِ اللَّهِ وَاللَّهُ قَادِرٌ عَلَى مَا أَرَادَ لَيْسَ اللَّهُ قَاهِرٌ (٢)

فالبيت فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَّالٍ﴾ (٣). ويقول كعب ﷺ في بعض معانيه التي تستلهم المعاني القرآنية:

فَإِن يَكُ مُوسَى كَلَّمَ اللَّهَ جَهْرَةً عَلَى جَبَلِ الطُّورِ المُنِيفِ المَعْظَمِ

فقد كَلَّمَ اللَّهَ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا عَلَى المَوْضِعِ الأَعْلَى الرَّفِيعِ المَسُومِ

وَإِن تَكُ نَمْلُ البَرِّ بِالوهم كَلَمْتَ سُلَيْمَانَ ذَا المَلِكِ الذِي لَيْسَ بِالعَمِي (٤)

فهذا نبيُّ اللَّهِ أَحْمَدُ سَبَّحَتْ صِغَارُ الحِصَى فِي كَفِّهِ بِالتَّرُّمِ (٥)

فالبيت الأول مقتبس من قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ (٦).

أما البيت الثاني فيشير إلى قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا أَنزَلْنَا عَلَيَّ وَإِنَّا لَنَنصِلُهَا نَمْلًا يَأْتِيهَا الْكَمَلُ أَذْخُلُوا مَسَكِنَكُم لَّا يَحِطُّ بِكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٧).

وحين يصف كعب ﷺ عدَّة الجيش المسلم فإنه يجعل في مقدِّمتها التقوى، فهي خير ما يتمسك به المؤمن ليحظى بالنصر والتأييد من خالقه - عز وجل - وفي ذلك يقول:

تَلُكُم مَعَ التَّقْوَى تَكُونُ لِبَاسِنَا يَوْمَ الهِيَاجِ وَكُلِّ سَاعَةٍ مَّصْدَقِ (٨)

ففي هذا البيت إشارة إلى قول الحق تبارك وتعالى: ﴿يَبْنَئِ أَدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا

(١) سورة القصص، الآية ٦٩.

(٢) ديوان كعب بن مالك ص ١٣٨.

(٣) سورة الرعد، الآية ١١.

(٤) ديوان كعب بن مالك ص ١٣٩.

(٥) المصدر السابق ص ٢٧٠.

(٦) سورة النساء، الآية ١٦٤.

(٧) سورة النمل، الآية ١٨.

(٨) ديوان كعب بن مالك ص ١٤٠.

يُؤزري سوءَ بئسَ ورسا ولباسَ النّفوى ذلكَ خيرٌ ﴿١﴾  
 وفي غزوة مؤتة تظهر شجاعة جعفر بن أبي طالب ﷺ وبسالته فهو يطلب الجنة وما  
 فيها من نعيم ورضوان، فيقول:  
 يا حبّذا الجنّة واقترابها  
 طيبةً وبأردأ شراً بها (٢)

ويصف كعب بن مالك ﷺ دعوة النبي ﷺ لقريش للدخول في الإسلام وترك  
 المعتقدات الباطلة التي يعتقدونها فكان جوابهم الإساءة لشخص النبي ﷺ، حيث يقول  
 كعب:

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ قَالَ أَقْبِلُوا فَوَلُّوا وَقَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ سَاحِرٌ (٣)

ففي هذا المعنى إشارة إلى قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ  
 الْكٰفِرُونَ هٰذَا سِحْرٌ كَذٰبٌ﴾ (٤).

وفي غزوة مؤتة وقف عبد الله بن رواحة ﷺ ذلك الموقف البطولي، وذلك حين خاطب  
 نفسه راجياً منها أن تطلب الشهادة في سبيل الله، وترجو ما عند الله - عز وجل -  
 حيث يقول:

أَقْسَمْتُ يَا نَفْسُ لَتَنْزِلَنَّهُ  
 قَدْ طَالَمَا قَدْ كُنْتُ مُطْمَئِنَّةً  
 طَائِعَةً أَوْ لَا لَتُكْرَهَنَّهُ  
 جَعْفَرُ مَا أَطِيبَ رِيحَ الْجَنَّةِ! (٥)

حيث يشير في الشطر الثاني من البيت الثاني إلى المعنى الوارد في قول الحق تبارك  
 وتعالى: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ (٦) ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ (٧).

وفي شعر حسان بن ثابت ﷺ تظهر رباطة الجاهد المسلم المتوكل على الله، الذي لا  
 يخشى كثرة عدد الأعداء ولا عدتهم، إذ يقول:

فَمَا نَخْشَى بِحَوْلِ اللَّهِ قَوْمًا  
 إِذَا مَا أَلْبُوا جَمْعًا عَلَيْنَا  
 وَإِنْ كَثُرُوا وَأَجْمَعَتِ الزُّحُوفُ  
 كَفَانَا حَدَّهُمْ رَبُّ رُؤُوفُ

(١) سورة الأعراف، الآية ٢٦.  
 (٢) السيرة النبوية ٢/٣٧٨.  
 (٣) ديوان كعب بن مالك ص ١٣٩.  
 (٤) سورة ص، الآية ٤.  
 (٥) ديوان عبد الله بن رواحة ص ١٥٣.  
 (٦) سورة الواقعة، الآية ٨٨ - ٨٩.

لَقِينَاهُمْ بِمَا لَمَّا سَمَوْنَا وَنَحْنُ عَصَابَةٌ وَهُمْ أَلُوفٌ<sup>(١)</sup>  
ففي هذه الآيات يظهر أثر المعاني القرآنية، حيث يشير البيت الأول إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّقَاتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾<sup>(٢)</sup>.

وفي البيت الثاني إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفَلَاحِ مِنَ الْمَلَكَةِ مُرَدِّفِينَ﴾<sup>(٣)</sup> وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَيُظْمِئُ بِهِنَّ قُلُوبَكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ<sup>(٤)</sup>.

ويشير عبد الله بن رواحة رضي الله عنه إلى جهاد المسلمين، فيقول:  
نُجَالِدُ النَّاسَ عَنْ عَرَضٍ فَنَأْسِرُهُمْ فِينَا النَّبِيُّ، وَفِينَا تَنْزُلُ السُّورُ<sup>(٥)</sup>  
فلفظة (سورة) في الشطر الثاني مأخوذة من قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾<sup>(٦)</sup>.

ويصف كعب بن مالك رضي الله عنه خيول المسلمين التي أعدت لحرب المشركين في موقعة الخندق، وما أتصفت به من الصفات، فيقول:

وَتُعَدُّ لِلْأَعْدَاءِ كُلِّ مُقْلَصٍ وَرَدٍّ، وَمَحْجُولِ الْقَوَائِمِ أُبْلِقِ<sup>(٧)</sup>  
أَمْرَ الْإِلَهِ بِرَبْطِهَا لِعَدُوِّهِ فِي الْحَرْبِ إِنْ اللَّهُ خَيْرٌ مُوَفَّقِ<sup>(٨)</sup>  
فهذا المعنى فيه إشارة إلى قول الحق - تبارك وتعالى - : ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ، عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾<sup>(٩)</sup>.

وعلى هذا النحو فقد ظهر أثر القرآن الكريم في أساليب الشعراء، الذين تحدثوا عن الغزوات، وناقحوا عن عقيدتهم، وتصدوا للمشركين في كثير من المواقع، وقد أعطى ذلك التأثير شعرهم قوة في التعبير، وأسلوباً سهلاً أزاح عن طريقهم خشونة الألفاظ

(١) ديوان حسّان ص ٣٥٢.

(٢) سورة الأنفال، الآية ٤٤.

(٣) سورة الأنفال، الآية ٩-١٠.

(٤) ديوان عبد الله بن رواحة ص ٨٣.

(٥) سورة البقرة، الآية ٢٢.

(٦) ديوان كعب بن مالك ص ١٤٠.

(٧) المصدر السابق ص ٢٤٤.

(٨) سورة الأنفال، الآية ٦٠.



الجاهلية التي كانت سمة بارزة قبل ظهور الإسلام.

ثانياً: اللغة الشعرية: اللغة عنصر رئيس من عناصر الإبداع الشعري، وهي الوسيلة التي تفصح عن مدلول الشاعر ومراده، وذلك من خلال ما يثبته في شعره من مشاعر وشجون. والشعر الجيد هو الذي يمتاز بتجانس الألفاظ والمعاني، فترق تلك الألفاظ في المواضع التي تتطلب الرقة، وتجزل وتشد في المواضع التي تتطلب الشدة والفخامة، وهو ما دعا إليه القاضي الجرجاني في قوله: ((أرى لك أن تقسم الألفاظ على رتب المعاني))<sup>(١)</sup>.

والتأمل في ألفاظ شعر الغزوات يجد أنها أتت في جانب كبير منها بالجزالة، وقد حدّد النقاد ملامح اللفظ الجزل في الكلام بأنه هو الذي ((يكون متينا على عذوبته في الفم، ولذاته في السمع))<sup>(٢)</sup>، فلا تشوبه وحشية أو عورة، كما بينوا المواضع التي يستعمل فيها اللفظ الجزل، ومنها ما ((يكون في وصف مواقف الحروب، وفي قوارع التهديد والتخويف، وأشبه ذلك))<sup>(٣)</sup>.

ومن أمثلة ذلك ما يظهر في قصيدة كعب بن مالك ﷺ في موقعة الخندق، التي يقول فيها:

مَنْ سَرَّهُ ضَرْبُ يَمْعَبِغٍ بَعْضُهُ      بَعْضاً كَمَعْمَعَةِ الْأَبَاءِ الْمُحْرَقِ  
فَلَيَاتُ مَأْسَدَةً تُسَنُّ سَيْوفُهَا      بَيْنَ الْمَذَادِ وَبَيْنَ جِرْزِ الْخَنْدَقِ  
نَصِلُ السُّيُوفِ إِذَا قَصْرُنَ بِخَطُونَا      قُدُمًا، وَتُلْحِقُهَا إِذَا لَمْ تُلْحَقِ  
فَقَرَى الْجَمَاجِمَ ضَاحِيًا هَامَاتُهَا      بَلَى الْأَكْفَ كَأَنَّهَا لَمْ تُخْلَقِ  
تَلْقَى الْعَدُوَّ بِفَخْمَةٍ مَلْمُومَةٍ      تَنْفِي الْجُمُوعَ كَقَصْدِ رَأْسِ الْمَشْرِقِ  
وَيُعِيدُ لِلْأَعْدَاءِ كُلِّ مُقْلَصٍ      وَرَدٍ وَمَحْجُولِ الْقَوَائِمِ أْبْلَقِ  
تُرْدَى بِفُرْسَانَ كَأَنَّ كُمَاتَهُمْ      عِنْدَ الْهِيَاجِ أَسْوَدُ طَلِّ مُلْتَقِ<sup>(٤)</sup>

(١) الوساطة بين المتبني وخصومه ص ٢٤.

(٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ١/١٨٥.

(٣) المصدر السابق ١/١٨٥.

(٤) ديوان كعب بن مالك ص ٢٤٥ - ٢٤٦.

حيث يصف كعب بن مالك، حماسة جيش المسلمين، واستعدادهم للقاء المتحزبين من المشركين في يوم الخندق، وقدرتهم على إلحاق الهزيمة بهم إذا قدموا لحرب المسلمين، مبيّناً ما امتاز به ذلك الجيش من التّعود على حوض المعارك ومنازلة الأعداء، وإعمال السيوف فيهم، حيث يظهر دور الفرسان المسلمين على خيولهم المضمرّة المعدّة للقتال فكأنهم أسود يحمون عربتهم، ويدافعون عنه بكل بسالة، وقد اعتمد الشّاعر في وصف تلك المشاهد الحماسيّة على الألفاظ الجزلة، ومن تلك الكلمات (ضرب، يجمع، المحرق، مأسدة، سيوفها، الجماجم، هاماتها، العدو، بفخمة، ملمومة، مقلص، ورد، محجول، أبلق، بفرسان، كماهم، الهياج، أسود، ملثوق) فهي ألفاظ تتسم بالقوّة، وشدّة الجرس، وتوحي بجوّ المعركة، وما يكتنفه من اصطدام الجيوش، وصليل السيوف، وشدّة إعمالها في الأعداء.

ويستخدم العباس بن مرداس ﷺ الألفاظ الجزلة في وصف فتح مكة، وما تحقّق فيه للمسلمين من عزّ ومنعة، يقول:

مِنَّا بِمَكَّةَ يَوْمَ فَتْحِ مُحَمَّدٍ      أَلْفٌ تَسِيلُ بِهِ الْبِطَاحُ مُسَوِّمٌ  
 فِي مَنْزِلٍ تَبَّتْ بِهِ أَقْدَامُهُمْ      ضَنْكَ كَأَنَّ الْهَامَ فِيهِ الْحَتْمُ  
 جَرَّتْ سَنَابِكُهَا بِنَجْدِ قَبْلَهَا      حَتَّى اسْتَقَادَ لَهَا الْحَجَّازُ الْأَدْهَمُ<sup>(١)</sup>

فالشّاعر هنا يصرّ ما دار يوم فتح مكة من حشد الجيوش المتأهّبة للفتح، ومنهم قومه من بني سليم الذين شاركوا بفرسانهم في ذلك الفتح، وأظهروا ثباتهم ورباطة جأشهم في تلك المناسبة العظيمة، وقد ألبس الشّاعر تلك المعاني ألفاظاً تناسبها في القوّة والشدّة، وتوحي بصور البسالة والإقدام، حيث اعتمد في ذلك على ألفاظ أتسمت بالمتانة والجزالة، ومن تلك الألفاظ ((تسيل، البطاح، مسوم، ضنك، الهام، الحنتم، جرّت، سنابكها، استقاد، الأدهم) فهذه الألفاظ ترسم صورةً تموج بالحركة والقوّة، لتجسد ما شهدته ذلك الفتح من قوّة وشجاعة من قبل جيش المسلمين. ومن الجوانب البارزة في شعر الجهاد شيوع الألفاظ الإسلاميّة التي جاءت مع الدّين الجديد، حيث تأثر بها الشعراء، وأدخلوها في معجمهم الشعري، فجاءت قصائدهم الشعريّة تحفل بتلك الألفاظ، التي هي مظهر من مظاهر الشعر في عصر صدر

(١) السيرة النبويّة ٢/٤٢٦.

الإسلام<sup>(١)</sup>. ومن أمثلة ذلك ما يظهر في قول حسّان بن ثابت رضي الله عنه في موقعة الخندق:

وَأَتَابَهُمْ فِي الْأَجْرِ خَيْرَ ثَوَابٍ      وَكَفَى الْإِلَهَ الْمُؤْمِنِينَ قِتَالَهُمْ  
تَنْزِيلُ نَصِّ مَلِيكِنَا الْوَهَّابِ      مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا فَفَرَّجَ عَنْهُمْ  
وَأَذَلَّ كُلَّ مُكَذِّبٍ مُرْتَابِ      وَأَقْرَعَ عَيْنَ مُحَمَّدٍ وَصَحَابِهِ  
وَالكُفْرُ لَيْسَ بِطَاهِرِ الْأَثْوَابِ<sup>(٢)</sup>      مُسْتَشْعِرٍ لِلْكَفْرِ دُونَ ثِيَابِهِ

فالشاعر يشير إلى ما آلت إليه موقعة الخندق من تفرق جموع المشركين، وتشنت حشودهم، ورجوعهم خائبين، وقد كفى الله المؤمنين القتال، وأتاهم الأجر على ما بذلوا في مواجهة الكفار، حيث كانت العزة للمسلمين، والذلة والخزي للكافرين.. وقد جاء النص يزخر بالألفاظ الإسلامية، ومن ذلك (الإله، المؤمنين، أتاهم، الأجر، ثواب، تنزيل، نص، ملكنا، الوهاب، صحابه، مكذب، مرتاب، الكفر، طاهر) فهذه الألفاظ أبانت عن المعنى العام الذي قصد إليه الشاعر، وأكسبته دلالة جديدة، تدل على تأثر حسّان رضي الله عنه بالمعاني الإسلامية، والقيم الدينية التي أتى بها الدين الحنيف. ويشير كعب بن مالك رضي الله عنه إلى أن الدعوة إلى الإسلام، والحرص على دخول الناس فيه هو السبب في مسيرة الجهاد، وانطلاق المسلمين لإعلاء راية الحق، حتى ينتشر الإسلام في شتى الأصقاع، يقول:

نُجَاهُ مَا بَقِينَا أَوْ تُنْيُوا      إِلَى الْإِسْلَامِ إِذْعَانًا مُضِيفًا  
نُجَاهُ لَا بُيَالِي مَنْ لَقِينَا      أَهْلَكْنَا تَلَادًا أَمْ الطَّرِيفَا  
لَأْمْرِ اللَّهِ وَالْإِسْلَامِ حَتَّى      يَقُومَ الدِّينُ مُعْتَدِلًا حَنِيفًا<sup>(٣)</sup>

فقد اعتمد الشاعر في أبياته على القاموس الإسلامي، واختار منه ما يعبر عن مضمونه بما يناسبه من الألفاظ الإسلامية، ومنها (الإسلام، نجاه، أمر الله، الدين،

(١) انظر: الشعر الإسلامي في صدر الإسلام د. عبد الله الحامد ص ١٠٥، شعر العقيدة في عصر صدر الإسلام لأبهم القيسي ص ٣١٧، الأدب في عصر النبوة والراشدين د. صلاح الدين الهادي ص ٢٥٩.

(٢) ديوان حسّان بن ثابت ص ١٢٠.

(٣) ديوان كعب بن مالك ص ٢٣٥ - ٢٣٧.

معتدلاً، حنيفاً).

ومن سمات التراكيب في شعر الجهاد غلبة البساطة والعموية علي هذا الشعر، فهو شعر مطبوع، يتعد عن التعقيد والالتواء، وذلك يعود إلى أثر الثقافة الإسلامية النابغة من تأثير القرآن الكريم والحديث النبوي، وصفاء اللغة التي ورد بها، فهي لغة منتقاة، تبتعد عن الخشونة، كل ذلك أدى إلى وضوح التراكيب في شعر الجهاد وحسن تأليفها، وبعدها عن التناثر والتعقيد، ومن أمثلة ذلك ما يظهر في قصيدة كعب بن مالك رضي الله عنه التي نظمها يوم الخندق، يقول:

وَسَائِلُهُ تُسَائِلُ مَا لَقِينَا      لَوْ شَهِدْتَ رَأَتْنَا صَابِرِينَ  
صَبْرَتْنَا لَا نَرَى لِلَّهِ عِدْلًا      عَلَيَّ مَا نَابْنَا مُتَوَكِّلِينَ  
وَكَانَ لَنَا النَّبِيُّ وَزِيرَ صِدْقٍ      بِهِ نَعْلُو الْبَرِيَّةَ أَجْمَعِينَ  
نُقَاتِلُ مَعْشَرًا ظَلَمُوا وَعَقُّوا      وَكَانُوا بِالْعَدَاوَةِ مُرْصِدِينَ<sup>(١)</sup>  
نُعَاجِلُهُمْ إِذَا نَهَضُوا إِلَيْنَا      بِضَرْبٍ يُعْجِلُ الْمُتَسَرِّعِينَ  
لِنَنْصُرَ أَحْمَدًا وَاللَّهَ حَتَّى      نَكُونَ عِبَادَ صِدْقٍ مُخْلِصِينَ<sup>(٢)</sup>

حيث يصف كعب رضي الله عنه ما أصاب المسلمين في موقعة الخندق التي تحزب فيها المشركون واليهود والقبائل الموالية لهم، وساروا لحرب المسلمين، الذين واجهوا أولئك المتحزبين بالصبر، واليقين، والتوكل على الله - عز وجل - فكان النصر حليفهم، وكانت الهزيمة والذلة من نصيب تلك الأحزاب التي تحالفت وتآمرت من أجل العدوان على المسلمين.. وقد عبّر الشاعر عن تلك المعاني بألفاظ سهلة واضحة تتلاءم مع طبيعة الموضوع، وصاغها في عبارات متألّفة متجانسة، ومن تلك العبارات: (ولو شهدت رأتنا صابرينا، على ما نابنا متوكّليننا، وكان لنا النبي وزير صدق، نقاتل معشراً ظلموا وعقوا، نعاجلهم إذا نهضوا إلينا) حيث يظهر ترابط تلك العبارات وتماسكها، وقدرتها على التعبير عمّا يرمي إليه الشاعر بوضوح. وهذه السمة تلحظ بوضوح في أغلب الشعر الذي صاغه الشعراء حول الغزوات<sup>(٣)</sup>، حيث

(١) المرصد: المعد للأمر عدته.

(٢) ديوان كعب بن مالك ص ٢٧٩ - ٢٨٠.

(٣) راجع مثلاً: ديوان حسّان بن ثابت ص ٧١-٧٥، ٩٣، ٩٦، ١١٩، ١٢٠، ديوان عبدالله بن

تأنقوا في صوغ عباراتهم، والعناية بأساليبهم، وبخاصة؛ لأن هذا الشعر يرد على المشركين، وينقض قصائدهم التي تعرضوا فيها للمسلمين<sup>(١)</sup>.

ثالثاً: الصورة الفنية:

تعدُّ الصورة من أهمِّ العناصر الفاعلة في القصيدة الشعرية، لكونها من الوسائل الفنية التي يعتمد عليها الشعراء في التعبير عن أفكارهم، لتقريب المعاني وزيادة توضيحها للتأثير في السامع. والصورة بناء على ذلك ((ليست زينة شكلية، أو حلية مصطنعة، وإنما أداة أساسية لتوصيل الخبرة والتعبير عن الرؤية))<sup>(٢)</sup>. وتظهر الصورة بشكل أوضح من خلال ((الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها الشاعر في سياق خاص ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية))<sup>(٣)</sup> معتمداً في ذلك على وسائل التعبير المختلفة في رسم مشاهداته ونظرته الخاصة للأشياء.

وتأتي الفنون البيانية في مقدمة الصور التي استعان بها الشعراء في شعر الغزوات، وهي صور عمادها التشبيهات، والاستعارات، حيث لجأ إليها الشعراء في قصائدهم لما تمثله من قيمة فنية عالية.

ويعدُّ التشبيه من أكثر الفنون البيانية جرياناً في الشعر، فهو من أقدم صور البيان وأقربها إلى الفهم والأذهان، وبه يزداد المعنى وضوحاً ويكتسب تأكيداً<sup>(٤)</sup>. ومن الصور التشبيهية ما يظهر في قول كعب بن مالك رضي الله عنه في موقعة بدر، حيث صور مسيرة جيش المسلمين لملاقاة المشركين، وكأنهم أسود تزار تنتظر فريستها، يقول:

فَسَارُوا وَسِرْنَا فَالتَقِينَا كَأَنَّا  
أَسْوَدُ لِقَاءٍ لَا يُرَجَى كَلِيمُهَا<sup>(٥)</sup>

كما صور حسبان بن ثابت رضي الله عنه استعداد المسلمين للقتال، فقال:

فَتَيَانُ صَدْقِ كَاللِّيْثِ مَسَاعِرٍ  
مَنْ يَلْقَهُمْ يَوْمَ الْهِيَاجِ<sup>(١)</sup> يُعْرِدُ<sup>(٢)</sup>

راحة ص ١٣٨، ١٤٧، ديوان كعب بن مالك ص ٢٣٤-٢٣٧، ٢٥٥-٢٥٨.

(١) راجع مثلاً: السيرة النبوية ٢/٢٥٤-٢٥٥، ٢٥٧-٢٥٨، ديوان عبد الله بن الزبير ص ٢٩-٣٠، ٣٧-٣٩، ٤٠-٤٣.

(٢) جماليات القصيدة المعاصرة د. طه وادي ص ٢١٢.

(٣) الأنجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر د. عبد القادر القط ص ٣٩١.

(٤) انظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لابن رشيق ١/٢٨٧، تحقيق: د. محمد قرقران.

(٥) ديوان كعب بن مالك ص ٢٦٦.

حيث يصف فرسان المسلمين الذين يقفون في مقدمة الصفوف للدفاع عن عقيدتهم، والتضحية من أجلها، ولذا أطلق عليهم فتيان صدق، وشبههم بالأسود الضارية التي تدافع عن عرينها بكل حماسة وعزيمة، وهم مع ذلك يسعون نار الحرب، التي لا يقوى الأعداء على خوضها، بل يفرون منها لجنبهم وخورهم.

كما شبه شعراء الغزوات أعداءهم من المشركين بالنعام، الذي يضرب به المثل في الجبن، ومما جاء من أمثال العرب قولهم: (أند من نعامة)<sup>(٣)</sup> أي أنقر. حيث شبه كعب بن مالك ﷺ فرار المشركين يوم بدر بالنعام، فقال:

فَأَتَاكَ فُلُّ الْمَشْرِكِينَ كَأَنَّهُمْ  
وَالْخَيْلُ تَتَفَنُّهُمْ نَعَامٌ شُرْدٌ<sup>(٤)</sup>

أما حسان ﷺ فقد رأى تصويراً آخر لفرار المشركين في غزوة بدر، وذلك حين شبههم بالإبل التي يسير بعضها في إثر بعض، مبيها هروبهم من أرض المعركة، ورجوعهم على أعقابهم بعد أن حمى الوطيس، وأحاط بهم المسلمون من كل جانب، حيث يقول في رده على قصيدة ابن الزبير:

إِذْ تُؤَلُّونَ عَلَى أَعْقَابِكُمْ هَرَبًا  
فِي الشَّعْبِ أَشْبَاهَ الرَّسَلِ<sup>(٥)</sup>

أما فرسان المسلمين الذين يواجهون الأعداء بكل بسالة فقد شبههم حسان ﷺ بالصقور، في قوة بأسهم، ونفاذ بصرهم، وتمكنهم من خصومهم، يقول:

لَهُ خَيْلٌ مُجَنَّبَةٌ تَعَادَى<sup>(٦)</sup>  
بِفُرْسَانٍ عَلَيْهَا كَالصُّقُورِ<sup>(٧)</sup>

ويشير حسان بن ثابت ﷺ إلى مكانة حبيب بن عدي<sup>(٨)</sup> ﷺ وجهاده من أجل نصرة الإسلام، فيقول:

(٣) يوم الهياج: أي يوم الوقائع والمعارك الشديدة، يعرّد: يفرد.

(٤) ديوان حسان بن ثابت ص ٩٤.

(٥) مجمع الأمثال للميداني ٤١٣/٣، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

(٦) ديوان كعب بن مالك ص ١٩١.

(٧) ديوان حسان بن ثابت ص ١٨١.

(٨) الخيل المجنّبة: المقودة. وتعادى: تسرع.

(٩) ديوان حسان بن ثابت ص ٢٤٥.

(١٠) هو حبيب بن عدي بن مالك بن عامر الأوسى الأنصاري، شهد بدرًا، وقتل الحارث بن عامر بن نوفل، واستشهد في عهد النبي ﷺ. (انظر: الإصابة لابن حجر ١٨٥/٣).

صَقْرًا تَوَسَّطَ فِي الْأَنْصَارِ مَنْصِبُهُ حُلُوَ السَّجِيَّةِ مَحْضًا غَيْرَ مُؤْتَشِبٍ (١)

وفي معركة بدر لم يجد كعب بن مالك ﷺ بدأ من ذكر مسيرة ذلك الجيش المسلم، يقدمه الرسول الكريم ﷺ حيث يحثهم على الجهاد، ويقوي عزائمهم، وهم يصغون إليه، ويطيعونه في كل ما يقول، وقد لجأ كعب ﷺ إلى الصورة التشبيهية في هذا المقام، وذلك عندما شبه النبي ﷺ بالبدر، الذي يضيء للآخرين فينير لهم طريقهم، ويدلهم إلى طريق الرشاد والفلاح، يقول:

نَمْضِي وَيَذْمُرُنَا (٢) فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ كَأَنَّهُ الْبَدْرُ لَمْ يُطْبِعْ عَلَى الْكَذِبِ (٣)

وفي صورة تشبيهية أخرى يشبهه ﷺ بالشهاب، وهو يتوسط المسلمين، يقول كعب:

فِينَا الرَّسُولُ شَهَابٌ ثُمَّ يَتَّبِعُهُ نَوْراً مَضِيءاً لَهُ فَضْلٌ عَلَى الشُّهُبِ (٤)

كما استعان الشعراء بالاستعارات الجميلة لإبراز معانيهم في حلقة قشبية، وإيرادها في شكل تشناق إليه النفس، وتأنس به. ومن تلك الصور ما عبّر عنه حسان بن ثابت ﷺ في يوم بدر، وذلك في وصف هزيمة حكيم بن حزام بن خويلد في ذلك اليوم، حيث قال:

نَجَّى حَكِيمًا يَوْمَ بَدْرٍ رَكُضُهُ كَنَجَاءِ مُهْرٍ مِنْ بَنَاتِ الْأَعْوَجِ

لَمَّا رَأَى بَدْرًا تَسِيلُ جِلَاهُهَا (٥) بِكَتَابِ مِلْأَوْسٍ أَوْ مِلْخَزْرَجِ (٦)

فقد جعل حسان ﷺ في البيت الثاني جللاه بدر تسيل رجالاً من كثرة كتائب الأوس والخزرج على سبيل الاستعارة، وذلك بما تحمله من عمق في تصوير تلك الكتائب، التي قدمت لنصرة الإسلام ودحر الشرك.

وفي تصوير المعارك تظهر جلياً براعة الشعراء في التقاط صورهم التي رسموا من خلالها

(١) ديوان حسان بن ثابت ص ٢٢٥.

(٢) يذمرنا: يحضنا ويدفعنا.

(٣) ديوان كعب بن مالك ص ١٧٥.

(٤) المصدر السابق ص ١٧٤.

(٥) الجلاه: جمع جلهة، وجلهتا الوادي: جانباه. وملاؤس أو ملخزرج: أي من الأوس ومن الخزرج على سبيل التسهيل.

(٦) ديوان حسان بن ثابت ص ٢٩٩.

مشاهد حية لما دار في أرض المعركة من مواقف وأحداث، ومن ذلك ما عبّر عنه كعب ابن مالك رضي الله عنه في موقعة بدر، عندما وصف قتلى المشركين الذين سقطوا في أرض المعركة، فقال:

وَعْتَبَةٌ وَابْنُهُ نَحْرًا جَمِيعًا      وَشَيْبَةٌ عَضُّهُ السَّيْفُ الصَّقِيلُ  
وَهَامُ بَنِي رِبِيعَةَ سَأَلُوهَا      فِي أَسْيَافِنَا مِنْهَا فُلُورٌ<sup>(١)</sup>

حيث أشار كعب رضي الله عنه إلى مقتل سادة قريش، ومنهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس، اللذان قتلوا في بدر، فقد لقينا جزاء عداوتهما ومحاربتهما للمسلمين، وفي التعبير عن مصرع شيبه تصوير بديع، وذلك حين قال: ((وشيبه عضه السيف الصقيل)) فقد شبه السيف بحية تعض، وتنهش، وتلحق الضرر بمن تريد، حيث أوحى هذا التعبير بالأثر الذي أحدثه السيف، وما كان له من وقع مؤلم في أجساد المشركين. وفي قوله: ((وهام بني ربيعة سألوها)) إحالة للسؤال من العاقل إلى ما لا يعقل، إذ الخطاب يكون في حقيقته إلى أولئك المشركين، وليس إلى هاماتهم التي تطايرت في يوم بدر، وهنا يكون التعبير أبلغ وأقوى تأثيراً من جهة الاستدلال على ما حل بالمشركين، وما أصابهم في تلك الموقعة الحاسمة.

ويصف العباس بن مرداس السلمي ما كان من مشاركة بني سليم في فتح مكة بألف فارس جاءوا لنصرة النبي ﷺ وتحقيق الفتح المنتظر، يقول:

مِنَّا بِمَكَّةَ يَوْمَ فَتْحِ مُحَمَّدٍ      أَلْفٌ تَسِيلُ بِهِ الْبَطَاحُ مُسَوِّمٌ<sup>(٢)</sup>

لقد كان العدد الذي شارك المسلمين من بني سليم كثيراً في نظر الشاعر، فهم (معلمون) ومتدربون على الحرب وخوض غمارها من جهة، وقد سالت بهم تلك الأرض السهلة المتسعة لكثرتهم ووفرة أعدادهم من جهة أخرى، وهنا يبرز دور التصوير الذي لجأ إليه العباس بن مرداس في قوله: (ألف تسيل به البطاح) إذ لا تسيل الأرض ماء، بل تسيل رجالاً من بني سليم ملأوا بكتائبهم تلك البطاح، وهو ما يبرز أهمية تلك الحشود التي توافرت لنصرة المسلمين في فتح مكة. وفي موقعة مؤتة، وأمام جيوش الروم الجرارة التي واجهت المسلمين في أرض المعركة،

(١) ديوان كعب بن مالك ص ٢٥٣.

(٢) السيرة النبوية ٤٢٦/٢.



لم يجد عبد الله بن رواحة رضي الله عنه بدءاً من مخاطبة نفسه، وحثها على الصبر والعزيمة،  
والتضحية من أجل النصر أو الشهادة في سبيل الله، يقول:

يَا نَفْسُ إِلَّا تُقْتَلِي تَمُوتِي  
هَذَا حِيَاضُ الْمَوْتِ قَدْ صَلَيْتِ  
إِنْ تَسْلَمِي الْيَوْمَ فَلَنْ تَفُوتِي  
أَوْ تُبْتَلِي فَطَالَمَا عُوفِيَتْ<sup>(١)</sup>

فقد جعل الشاعر من نفسه إنساناً مقابلاً له يجيد لغة الحوار والخطاب، والجدال  
والإقناع، وذلك ليث ما في وجدانه من مشاعر، ويعالج ما في داخله من إحجام،  
قاصداً في نهاية المطاف أن تشجع نفسه، وتقدم على ذلك الأمر الذي جاءت من  
أجله، وهو الجهاد والتضحية في سبيل الله.

ويصور العباس بن مرداس رضي الله عنه بطولة قومه وشجاعتهم، وهم يتصدون للمشركين في  
موقعة حنين، فيقول:

إِذْ نَرَكَبُ الْمَوْتَ مُخْضِرًا بَطَائِنُهُ  
وَالْحَيْلُ يَنْجَابُ عَنْهَا سَاطِعٌ كَدِرٌ<sup>(٢)</sup>

فالشاعر هنا وفي سياق تجسيد شجاعة قومه وفروسيتهم يلجأ إلى التصوير، وذلك  
حين أحال الأمور المعنوية إلى أمور حسية، تشاهد، وتُركب، ويُعامل معها، وهو ما  
يظهر في قوله: (إذ نركب الموت مخضراً بطائنه) فقد أحال (الموت) وهو أمر معنوي  
إلى محسوس، وجسده بشكل ملموس، ليُوحى من خلال ذلك بما امتاز به أولئك  
الفرسان من ثبات، وعزيمة، وإقدام في أرض المعركة.



(١) ديوان عبد الله بن رواحة ص ١٥٤.

(٢) السيرة النبوية ٤٦٧/٢.

### الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على أفصح العرب قاطبة  
سيد الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.  
وبعد:

فقد سارت هذه الدراسة في تتبع شعراء غزوات النبي ﷺ، وما قيل في تلك المعارك  
الخالدة من أشعار، وما حفلت به من روح الحماسة والعزيمة، والحرص على الدفاع  
عن الإسلام، ومنافحة خصومه، والتصدّي لهم في كلّ الأشعار التي نظمها من أجل  
الإساءة إلى الدّعوة الإسلاميّة.

وقد اشتملت هذه الدراسة على فصلين أساسيين، أحدهما بعنوان: (الشعر في مواكبة  
الغزوات)، وفيه عرض البحث لغزوات النبي ﷺ، وما قيل فيها من أشعار، وما حفل  
به ذلك الشعر من ردود على شعراء المشركين، حيث كانت غزوة (بدر) هي أولى  
الغزوات التي نالت اهتمام الشعراء، ثم تلتها غزوة (أحد)، وأتسم فيها الشعر  
بالكثرة لما شهدته من أحداث جعلت شعراء المشركين يفخرون على المسلمين، ولذا  
فقد جاءت الردود من قبل شعراء المسلمين لتخرس ذلك الشعر، وتفصح عن عيوبه.  
وفي غزوة (الخنديق) وقف الشعر يشير إلى حماسة المسلمين وروحهم المعنويّة في  
مواجهة تلك الأحزاب التي قدمت لحرب المسلمين، ولكنهم باءوا في نهاية أمرهم  
بسوء العاقبة والخسران. وفي غزوة (مؤتة) وقف الشعر يستنهض الهمم، ويقوّي  
العزائم، ويشير إلى ما ينشده المسلمون من النصر أو الشهادة في سبيل الله. وأخيراً  
جاء (فتح مكة) فكان بشارة عظيمة للمسلمين وطريقاً لنشر الإسلام في تلك  
الأنحاء، حيث مجّد الشعراء ذلك الفتح وأبانوا عن عظمتها، وأهمّيّته للمسلمين.

أمّا الفصل الثاني فكان بعنوان: (القيم الفنيّة في شعر الغزوات) وفيه تناولت الدراسة  
ما أتسم به ذلك الشعر من قيم فنيّة في جانب اللّغة الشعريّة، والصورة الفنيّة، وبيان

أثر القرآن الكريم في شعر الغزوات.

هذا وأسأل الله تعالى التوفيق والسداد، وأستمدُّ منه العون والتأييد.  
والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.



## فهرس المصادر والمراجع

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر: د. عبد القادر القط، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨١م.
- ٣- الأدب الإسلامي في عهد النبوة وخلافة الراشدين: د. نايف معروف، دار الفانيس للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
- ٤- الأدب في عصر النبوة والراشدين: د. صلاح الدين الهادي، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الرابعة ١٤٠٩هـ.
- ٥- أساس البلاغة: لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، دار المعرفة، بيروت، تحقيق: عبد الرحيم محمود.
- ٦- الاستيعاب في أسماء الأصحاب: لابن عبد البر القرطبي، مطبعة السعادة، القاهرة ١٣٨٢هـ.
- ٧- أسد الغابة في معرفة الصحابة: لعز الدين ابن الأثير، دار الشعب، القاهرة، بدون تاريخ.
- ٨- الإسلام والشعر: د. فايز ترحيني، دار الفكر اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٠م.
- ٩- الإصابة في تمييز الصحابة: لابن حجر لابن حجر العسقلاني، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة ١٩٧٠م، تحقيق: علي محمد البجاوي.
- ١٠- الأغاني: لأبي الفرج الأصبهاني، دار الشعب، القاهرة، ١٣٨٩، تحقيق: إبراهيم الأبياري.
- ١١- التأثير النفسي للإسلام في الشعر ودوره في عهد النبوة، د. عبد الرحيم محمود زلط، دار اللواء للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.
- ١٢- تاريخ الأدب العربي: د. عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة ١٩٨٤م.
- ١٣- تاريخ الأدب العربي - العصر الإسلامي -: د. شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، الطبعة السابعة ١٩٨٤م.
- ١٤- تأملات في سيرة الرسول ﷺ: د. محمد السيد الوكيل، دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
- ١٥- جماليات القصيدة المعاصرة: د. طه وادي، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة ١٩٩٤م.
- ١٦- دراسات في أدب الدعوة الإسلامية: د. محمود حسن زيني، مطبوعات مكتبة الخانجي، القاهرة ١٤٠٢هـ.
- ١٧- ديوان حسّان بن ثابت، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٣م، تحقيق: د. سيد حنفي حسنين.
- ١٨- ديوان عبد الله بن رواحة - ودراسة في سيرته وشعره -: د. وليد قصاب، دار الضياء للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ.
- ١٩- ديوان كعب بن مالك الأنصاري - دراسة وتحقيق -: د. سامي مكّي العاني، منشورات مكتبة النهضة، بغداد، الطبعة الأولى ١٩٦٦م.

- ٢٠- ديوان التابغة الجعدي، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، دمشق، بدون تاريخ، تحقيق: عبد العزيز رباح.
- ٢١- سير أعلام النبلاء: لشمس الدين الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون.
- ٢٢- السيرة النبوية: لابن هشام، مكتبة مصطفى الباي الحلبي وأولاده، القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٧٥هـ، تحقيق: مصطفى السقا وزميليه.
- ٢٣- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لعبد الحي الخنيلي، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.
- ٢٤- الشعر الإسلامي في صدر الإسلام: د. عبد الله الحامد، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ.
- ٢٥- شعر عبد الله بن الزبير: د. يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ.
- ٢٦- شعر العقيدة الإسلامية في عصر صدر الإسلام حتى سنة ٢٣هـ: د. أيهم القيسي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
- ٢٧- شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام: د. النعمان القاضي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ١٣٨٥هـ.
- ٢٨- شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه: د. يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ.
- ٢٩- صحيح مسلم: للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج، مطبعة عيسى الباي الحلبي وأولاده، القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٧٥هـ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
- ٣٠- الصورة والبناء الشعري: د. محمد حسن عبد الله، دار المعارف، القاهرة ١٩٨١م.
- ٣١- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: لابن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦هـ) دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، تحقيق: د. محمد قرقران.
- ٣٢- في أدب الإسلام - عصر النبوة والراشدين وبنى أمية -: د. محمد عثمان علي، دار الأوزاعي للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.
- ٣٣- القاموس المحيط، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ.
- ٣٤- لسان العرب: لابن منظور المصري، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.
- ٣٥- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: لضياء الدين ابن الأثير، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ١٩٧٣م، تعليق: د. أحمد الحوفي وزميليه.
- ٣٦- مجمع الأمثال: لأبي الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني، مطبعة عيسى الباي الحلبي، القاهرة ١٩٧٨م، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

- ٣٧-المستد: للإمام أحمد بن حنبل، دار المعارف، القاهرة ١٣٧٤هـ، شرح: أحمد محمود شاكر.
- ٣٨- المصباح المنير: لأحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٨٧م.
- ٣٩- معجم ألفاظ القرآن الكريم: عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مطابع الأوفست ١٤٠٩هـ.
- ٤٠- معجم البلدان: لياقوت الحموي، دار صادر، بيروت ١٣٧٤هـ.
- ٤١- المعجم الوسيط، عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٧٢م.
- ٤٢- التابغة الجعدي - حياته وشعره -: د. خليل إبراهيم أبو ذياب، دار القلم للطباعة والنشر، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.
- ٤٣- النظرة النبوية في نقد الشعر: وليد قصاب، منشورات المكتبة الحديثة، العين ١٤٠٨هـ.
- ٤٤- الوساطة بين المتنبي وخصومه: للقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وزميله.

